جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

العنوانُ و التعالقُ النصيّ في روايةِ "هدير الصمت" استقراءٌ لغويٌّ في ضوءِ العلاقاتِ النصيّة

الدكتور/ صباح صابر حسين شحاتة
أستاذ العلوم اللغوية المساعد- كلية البنات للآداب و العلوم والتربية - جامعة عين شمس

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الرابع
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوانُ و التعالقُ النصيّ في روايةِ "هدير الصمت"
استقراءٌ لغويٌّ في ضوءِ العلاقاتِ النصيّة

صباح صابر حسين شحاتة

قسم العلوم اللغوية - كلية البنات للآداب و العلوم والتربية - جامعة عين شمس ، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Sabah.saber@women.asu.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى تناول توظيف العنوان في النص توظيفاً يظهر ما يتضمنه من أبعاد وعلاقات؛ تكشف مدى التعالق النصيّ بينه و بين بنية العمل الأدبي، وعلاقاته المتنوعة ببعض الأطر الدلالية في النص الروائي، ومدى تأثير ذلك في منح النصّ خاصيتي الحبك النصي ،والاستمرار الدلالي. و لتحقيق ذلك في هذا النص اتبعت المنهج الوصفي من خلال تحليل بعض الأطر الدلالية الواردة في النصّ الأدبي وصدى دلالة العنوان فيها .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيم مادَّته العلميَّة إلى مبحثين. تسبقهما مقدِّمة ومدخل، وتعقبهما خاتمة، ثمَّ ثبت بأهم المصادر والمراجع، و جاء بيان ذلك على النحو الآتي:

- المقدمة: تضمنت إشكالية البحث والتساؤلات البحثية، والمنهج المتبع وخطة الدراسة.
- المدخل : خصصته للوقوف على العنوان وأهميته، وملخصًا للرواية – هدير الصمت– وموجز عن مؤلفها وصدى تجربته العسكرية فيها.
- وجاء المبحث الأول بعنوان: عتبة النصّ ومستويات البنية والدلالة: عرض و تحليل. ويتناول هذا المبحث مستويات تحليل بنية عتبة النص– العنوان– من الجانب الصوتي، وكذلك الصرفي، والمعجمي، والتركيبي، والدلالي.
- وجاء المبحث الثاني بعنوان:العلاقات النصيّة بين العنوان و البنية النصيّة: قراءة في المفهوم و الدلالة.

ويتناول العلاقات الآتية: علاقة التقارب الدلالي، وعلاقة السببية، وعلاقة الإجمال بالتفصيل، و علاقة التقابل الدلالي. ثم ذيّل البحث بالخاتمة: وفيها بيانٌ بأبرز النتائج التي أسفرت عنها تلك المحاورة البحثية، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: البنية، الدلالة؛ الرواية؛ العلاقة؛ المستوى؛ النص.

"Title and textual attachment in "The Growl of Silence
Linguistic induction in light of textual relationships

Sabah Saber Hussein
Department of Linguistic Sciences - Girls College of Arts, Science and Education - Ain Shams University, Arab Republic of Egypt
Email: Sabah.saber@women.asu.edu.eg

Abstract

This research aims to offer the function of title in the text tocover what it has dimensions and relations; that reveals the extent of the textual relationship between it and the structure of literary work ،and its various relationships with some semantic frames in the narrative text. Thus ،it is preceded by an introduction and an introduction ، followed by a conclusion ،and then proven by the most important sources and references. As for،The introduction included the objectives of the research ،the reasons for choosing the topic ،research questions and the approach followed in the study.The entrance included a quick summary of the title and its importance ،and a summary of the novel - the roar of silence - and a summary of its author and his military experience in it .

−The first section is entitled: Levels of structure and significance in the narration of the roar of silence) deals with the aspect: Phonetic،morphological ،lexical،syntax ،and semantic standard.

−The second section is entitled: Textual relationships between title and textual structure Reading the concept and the significance. That deals with the following relationships: The relationship of semantic convergence. Second: the causal relationship. Third: the relationship of aggregate in detail. Fourth: The semantic convergence relationship. Conclusion:It contains a statement of the most important results of the study ،and references.

Keywords: Structure ،Significance ،Novel ،Relation ،Standard ، Text.

بسم الله الرحمن الرحيم

١. مقدمة:

١.١. إشكاليّةُ البحثِ.

لم يحظ العنوان أو عتبة النصّ بكثير من الدراسات اللغوية التطبيقية بالقدر نفسه، الذي حظي به في الدراسات الأدبية، التي عُنيت به أيَّما عناية، وشهدت زخمًا علميًّا على المستويين: التنظيريّ والتطبيقيّ على حدٍ سواء؛ فكان ذلك محفزًا بحثيًّا للوقوف حيال دراسة الحضور السيميائيّ الدلاليّ النصيّ للعنوان داخل العمل الأدبي؛ كشفاً للامتداد النصيّ للعنوان داخل بنية العمل الأدبي، وعلاقاته المفهوميّة المتنوعة ببعض الأطر الدلالية في النص الروائي، ومدى تأثير ذلك في منح النصّ الحبك والاستمرار الدلالي.

وقد وقع الاختيار على رواية "هدير الصمت" لمؤلفها الدكتور حسن البنداري نموذجًا للاستقراء والرصد والتحليل لهذه الإشكالية. فقد استرعى انتباهي – بعد قراءتها المتأنية مرات عديدة- قدرة الكاتب على توظيف الحضور السيميائي للعنوان في المتن، وإسقاط دلالاته على الأحداث في صعودها وهبوطها، وتأزمها وانفرجها، وكذلك على الشخصيات في سعادتها وحزنها، وفي يأسها وأملها، وفي صمتها وكلامها، وفي رضاها وسخطها، وفي نجاحها وإخفاقها. كل ذلك في نموذجٍ للتعالق الدلالي المقصود؛ فكان العنوان حاضرًا على مدارِ النصّ الروائي –كله- بوصفه علامةً لغوية مضيئة لدروب المتلقين. كما لفت انتباهي وجود علاقات متنوعة ذات ترابط مفهومي بين العنوان وبعض الأطر الدلالية داخل النص الأدبي، تلك التي كان لها وظيفتها في تماسك النص، وجعله وحدة كلية متماسكة ومنسجمة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دلاليـــاً. ولعل هذا من أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع المعنـــون بـــــ" العنوانُ و التعالقُ النصيُّ في رواية "هدير الصمت":استقراءٌ لغويّ في ضوءِ العلاقات النصيّة"؛ الرغبة في أن يكون نقطة انطلاقٍ بحثي لكل جهدٍ يتطلـــع لربط سيمياء العنوان بالدراسات اللغوية النصية التطبيقية.

١.٢. تساؤلات البحث:

و تأسست المحاورة البحثية في هذا البحث على السعي إلى الإجابـــة عن التساؤلات الآتية:

- √ هل العنوان (بنية ودلالة) عبَّر عن المحتوى القضوي للـــنص ووافـــق الأحداث والشخصيات؟
- √ هل للعنوان علاقة دلالية بالفترة الزمنية التي أومأ إليها الكاتـــب، تلـــك التي وصفها في الأطر الدلالية والمقاطع السردية داخل النص الروائي؟
- √ إلى أي مدى تمكن الكاتب من تشكيل نسيج من العلاقـــات النصـــية ذات الترابط المفهومي بين العنوان والنص الروائي؟
- √ كيف تمكن الكاتب من توظيف الامتداد النصي الـــدلالي للعنـــوان فـــي الجانبين السياسي والاجتماعي على حدٍ سواء؟

١.٣. منهج الدراسة:

نحا البحث منحى المنهج الوصفي التحليلي لهذا النص الروائي؛ متخذا من العنوان – بنية ودلالة – سبيلا للعبور إلى المتن الروائي، ورصدا للأطر النصية، ومدى تعالقها المفهومي والدلالي بالعنوان؛ مع الإفادة من توظيـــف العلاقات بين الوحدات النصية الصغرى في كشف دلالة الإطار النصي العـــام

الكلي، وتحديد وشائج الارتباط المعنوية بالعنوان، وأثر ذلك الامتداد النصي الدلالي للعنوان داخل المتن في تماسك البنية الكبرى للنص.

١.٤. خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تقسَّم مادَّته العلميَّة إلى مبحثين وخاتمة ، تسبقهما مقدِّمة ومدخل وتعقبهما خاتمة، ثمَّ ثبت بأهم المصادر، التي عضدت المحاورة البحثية.

١) أما مقدمة البحث؛ فتضمنت إشكالية البحث بأهدافه وغايته ومبررات اختياره، والتساؤلات البحثية والمنهج المتبع وخطة تقسيمه.
٢) مدخل البحث: وتضمن عرضا لطبيعة العنوان وأهميته، وملخصًا للرواية – هدير الصمت– وموجز عن مؤلفها وصدى تجربته العسكرية فيها.
٣) وجاء المبحث الأول بعنوان: عتبة النص (هدير الصمت) ومستويات البنية والدلالة: عرض و تحليل. الذي ركز على المستويات اللغوية المختلفة صوتًا وصرفًا ومعجمًا وتركيبًا ودلالة.
٤) وجاء المبحث الثاني بعنوان: العلاقات النصيّة بين العنوان و البنية النصيّة: قراءة في المفهوم و الدلالة. ويتناول العلاقات الدلالية المختلفة نحو: علاقة التقارب الدلالي، وعلاقة السببية، وعلاقة الإجمال بالتفصيل، وعلاقة التقابل الدلالي.
٥) الخاتمة: وفيها بيان بأبرز النتائج، التي أسفر عنها البحث، ثم قائمة مصادر البحث المختلفة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢. مدخل:

يعد العنوان اللافتة الدلالية المحورية الأولى، التي تعلو النصّ الأدبي وتتقدمه، ويدور حولها مضمونه، وهي النقطة الأولى لانطلاق الكاتب إلى عالمه وما فيه من أفكار وتبصرات، يود إيصالها إلى المتلقي، سواء أتبع في ذلك طريقًا مباشرة أم غير مباشرة. و عن طريق العنوان يعمد الكاتب إلى استدراج المتلقي وإقامة جسر تواصلي بينهما؛ إذ إن البناء اللغوي للعنوان من شأنه أن يجذب انتباه المتلقي، ويشده ويسترعيه، ويفتح المجال أمامه للتأويل والتفسير، وكشف غامضه، وفك شفراته، والبحث عن مدلولاته ومدى تعالقها وترابطها بجسد النصّ ؛ ومن ثمَّ يصبح المتلقي مشاركًا الكاتب في عملية الإبداع، ومنتجًا ثانيا للنص الأدبي. ويرى (كوهين) أن العنونة سمة من سمات النص النثري؛ لأن النثر قائمٌ على الوصل والقواعد المنطقية ، بينما الشعر يمكن أن يستغني عن العنوان[١]، وعليه فقد عُني النقاد المحدثون بالحضور السيميائي للعنوان والامتداد الدلالي له داخل النصِّ الأدبي بوصفه – الأول – مفتاحاً إجرائيًّا في التعامل مع النص" ونظاماً سيميائيًّا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالته، ومحاولة فك شفراته الرامزة"[٢] من جانبٍ ثان.

وقد أوضح (رولان بارت) الخصائص الدلاليّة والسيميائية والبنيوية والإيحائيّة للعنوان في تعريفه له بقوله:"أنظمة دلالية سيميائية تحمل في طياتها قيمًا أخلاقية، واجتماعية، وأيديولوجية ، وهي وسائل مسكوكة

١- بسام قطوس – سيمياء العنوان – مطبعة البهجة – عمان – الأردن ٢٠٠٢ – ص ٣٣
٢- بسام قطوس، السابق نفسه.

مضمنة بعلامات دالة مشبعة برؤية العالم يغلب عليها الطابع الإيحائي"[١]، كما أوضحت بشرى البستاني وظيفة العنوان التعريفية والتوضيحية للنص وتأثيره في المتلقي قائلة :هو "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها و تغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص و محتواه "[٢]و هناك من يعرّف العنوان من منظور النصية، مقررًا أن الفرقَ بينه وبين المتن فرقٌ كميٌّ ؛ فيقول:"فالعنوان دومًا عبارة عن نص مختصر، يتعامل مع نص كبير، يعكس كل أغواره وأبعاده."[٣] فالعنوان نصٌّ مكتمل لغويًّا ودلاليًّا ذو علاقات امتداديّة و انعكاسيّة مع النص الأصلي" وليس زائدة لغوية للعمل ولا هو عنصر من عناصره، انتزع من سياقه ليحيل إلى العمل كله...ولكن العنوان نظرًا لاستقلاله الوظيفي مرسلة كاملة ومستقلة في إنتاجيتها الدلالية."[٤]

وقد تضمنت هذه التعريفات إشارات سريعة إلى وظائف العنوان الذي يعد بؤرة العمل الأدبي، ونقطة ارتكازه، ونظرًا للوظيفة الرئيسة التي يقوم بها العنوان في مجموعة مرتكزات البنية التواصلية المتمثلة في الكاتب، والقارىء، والنص باتت الإشارة إلى وظائفه أمرًا ضروريًّا ؛ فمن وظائفه – كما حددها بعض النقاد المحدثين– [٥]مايأتي:

١– فيصل الأحمر – معجم السيميائيات – ط١ – منشورات الاختلاف – الجزائر ٢٠١٠م – ص٢٦

٢–عبد القادر رحيم – علم العنونة – دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر – ط١ – دمشق ٢٠١٠م – ص٤٣

٣– بلقاسم دفة – علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي– منشورات الجامعة، ٢٠٠٠م– ص٤٢

٤– محمد فكري الجزار – العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي– الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٩٨م–ص٣٥

٥– خالد حسين – في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)–دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر –دمشق–٢٠٠٧م – ص ٩٧–١٠٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١)الوظيفة المقصديّة: تلك التي تكشف مقصديّة الكاتب من العنوان،وتعكس العلاقة بينهما، كما تتضمن أبعادًا ذاتية للكاتب وانفعالات وأحاسيس.

٢)الوظيفة التأثيريّة: وتتلخص في تأثير العنوان في القارىء بوصفه نصًّا يحدد علاقته بالمتلقي ويحرضه على القراءة المتأنية الاستكشافية المبدعة، ويثير انتباهه.

٣)الوظيفة التفكيكيّة: وتتعلق هذه الوظيفة بعلاقة القارىء بالعنوان بوصفه – الأخير– منطقة نصيّة صالحة للقراءة والتفكيك، على حد تعبير بعض المحدثين، حيث اتخذت هذه المقولة ذريعة للرد على مفهوم خارجية العنوان، الذي لازم الدراسات النقدية فنبذت العنوان إلى خارج اهتمامات فعل القراءة؛ الأمر الذي كرَّس استبداد الثنائيات الضدية، وطغيانها عبر أولوية الداخل على الخارج أو المتن على الهامش، أو النص الكبير على النص الصغير، أو الأساسي على الثانوي؛ فغدا العنوان عنصرًا ملحقًا بالنص يؤدي وظيفة تكميليّة لخدمة النص، ولكن الواقع النصي يكذب هذه المسلمة –خارجية العنوان– من حيث إن هوية النص تتوقف على عتبته– العنوان– ومن ثمَّ يبطل خارجية العنوان. وتنهار استبدادية الثنائيات المتحكمة بالقراءة؛ فيغدو خارج النص داخله، وداخله خارجه.

٤)الوظيفتان الأنطولوجية والإحالية: تتجسد علاقة العنوان بالنص في الوظيفتين الأنطولوجية والإحالية، ووفقًا للوظيفة الأولى يهب العنوان للنص هويته أو مكانه في الوجود، ويخرجه من العماء إلى فضاء التميز والاختلاف ؛ إذ بالاسم يحوز الكائن هويته واختلافه، وهذا ما يحققه العنوان بامتياز، وبتعيين هوية النص يكون قابلا للحوار معه ، وقابلا للقراءة ؛ لأنه بكل بساطة يكون قد أعلن عن هويته ومجاله الأنطولوجي،

ووفقًا للوظيفة الثانية يمثل العنوان إعلانًا عن محتوى النص ومضمونه، وذلك تبعًا للعلاقتين(الامتدادية) بانتشار العنوان نصًّا، و(الارتدادية) بارتداد النص عنوانًا، هكذا وبالتبادل العنوان يحيل إلى النص، والنص يحيل إلى العنوان، وهنا تكمن أهمية الوظيفة التفكيكيّة للعنوان؛ لأنها تكشف هذا التآلف البنيوي والدلالي بين النصين متجسدًا في المستوى الإحالي بينهما.

وأتفق مع مَن يقرر أن معظم وظائف العنوان تدرك من النص؛ فهو الذي يحدد طبيعة هذه الوظيفة؛ لأن الباحث قد لا يدرك وظيفة العنوان أو وظيفته في الشعر خاصة، إلا بعد إتمام قراءة القصيدة ؛ فعن طريق النص يمكن فهم محتوى رسالة العنوان.[١]

- **رواية (هدير الصمت)**:

إطلالة سريعة على أبرز أحداثها، وإلقاء الضوء على شخصياتها الرئيسة؛ حتى يتسنى للقارىء الكريم الإلمام بها ومتابعة الارتباط العلائقي بين العنوان والنص الأصلي؛ فهي رواية سياسية اجتماعية، نشرت طبعتها الأولى في مكتبة الأنجلو المصرية عام ألفين وتسعة عشر، عدد أوراقها مائة وأربع ورقات. وهذه الرواية جديرة بالدراسة الأكاديمية؛ فقد جسدت أحداثُها فترةً من تاريخ مصر المعاصر وهى فترة التسعينيات من القرن العشرين. وقد اتخذ الكاتب هذه الفترة نقطة انطلاقٍ لاستحضار فترة عصيبة في تاريخ الوطن، وهي هزيمة يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين، كما استرجع أحداثًا وذكريات وأشخاصًا عاشوا فترة الهزيمة، وذاقوا

١- عبد القادر رحيم – علم العنونة – ص ٥٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مرارتها، وقسوتها، وضحُّوا من أجل استرداد الأرض والكرامة،وظل هؤلاء على عهدهم مع الوطن بعد انتهاء الحرب، يحاربون الفساد الذي استشرى في هذه الفترة، فترة التسعينيات المليئة قهرًا وظلمًا وتكميم أفواه، و ما وقع على بعض فئات المجتمع آنذاك من ظلمٍ وقهر؛ فلم يستطع أحد التفوّه أو التلفظ بكلمة واحدة، يعبر بها عن رأيه، وكأن التعبير عن الرأي غدا جريمة.

ومن هؤلاء بطل الرواية "زهران الغانم" الذي جمعته ببطلة الرواية "هناء الذهبي" قصة حب بدأت منذ أيام الدراسة بكلية التجارة، وحال دون اكتمالها استدعاؤه للتجنيد بعد سبعة أشهر من هزيمة الوطن، فضلا عن فقره وقلة حيلته؛ فاضُطرت إلى الموافقة على "دهشان الكردي"، ذلك الشاب الوسيم والنائب البرلماني عضو الحزب الوطني، الذي يكبرها بخمسة أعوام. وعلى الرغم من إيقانها أنه غير مناسب لها وليس متوافقًا معها، وأنها أخطأت حين رضخت إلى رغبة الأهل والأصدقاء، الذين رأوا أن مستقبل "زهران" غير مضمون؛ فقد آثرتْ الصمت ومداراة مشاعرها،وبدت أمام الجميع مستقرة، وأنجبت البنات الثلاث وأحسنت تربيتهن وساندت زوجها وشاركته مسيرته العملية والمالية، وحافظت على رباط الزواج المقدس، حتى لو كانت علاقتها به هشة وواهنة؛ فزوجها "دهشان الكردي" خطير، ويمارس الشر بكل أنواعه، وله صلات وثيقة ببعض رجال السلطة والحزب وضباط بمباحث أمن الدولة، واشتهر عنه استعمال العنف في حل مشكلاته في العمل أو في مجلس الشعب؛ فهو عضو له شأنه في الحزب الوطني فـ" كم جاهر بضرورة ممارسة العنف في مواجهة الخصوم من الأحزاب الأخرى، وكم نظَّم عمليات إزاحة لكل مجاهر برأيه ومناوىء له، إما

بالترهيب أو القتل أو الإخفاء."[١] فضلًا عن علاقاته النسائيّة والسهر وشرب المسكرات؛ فقد وجد فيها سعادته وراحة باله. وغريمه في المجلس ومنافسه في لجانه "زهران الغانم" الذي دخل المجلس مستقلًا عن دائرة البدرشين كان يفتش وراءه ويحصي معاملاته الخفيَّة ويعرّض به؛ فقد كان زهران – كما وصفه الكاتب- محاربًا بمقالاته في الصحف القومية والحزبية وبكتبه المترجمة والمؤلفة عن الصراع الدولي، ومهمومًا لأجل وطنه، فكم نادى تحت قبة البرلمان بتحقيق العدالة واستجواب أي مسئول في البلد مهما علا قدره، وهو يعلم –يقينًا- أن ذلك قد يكلفه حياته يقول :"أعلم أن المجابهة سوف تكلفني كثيرا من وقتي وجهدي،وربما تكلفني حياتي، أعلم أن موج العاصفة عالٍ جدا، ولكني سأصمد؛ فعندي تاريخ من التحمل والصمود مازالت صورة حرب الاستنزاف في ذاكرتي، وما زال العبور الجزئي يملأ عيني، ومازال العبور الكبير في السادس من أكتوبر، يتجلى في أوقات شدتي وحزني وقهري، وما زلْتُ أتحسس ساقي اليمنى الصناعية البديلة عن ساقي التي بترتها شظية قنبلة يوم العبور، وأنا أسقط العلم الإسرائيلي؛لأرفع علم وطني، حاربت ست سنوات لتحرير سيناء"[٢]

وبعد مرور خمسة وعشرين عامًا على افتراقهما (زهران الغانم وهناء الذهبي) ؛وجَّه نادي التجاريين دعوة إلى خريجي كلية التجارة جامعة القاهرة دفعة عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ؛ للاحتفال بمناسبة مرور خمسة وعشرين عامًّا على التخرج؛ لبَّت (هناء الذهبي) الدعوة، وهناك قابلت (زهران الغانم)، وقلبها مليء بعبارات اللوم والعتاب؛ لتخليه عنها وعدم السؤال طوال هذه الفترة، وأدرك ما يدور بخاطرها فقال:"سافرت في

١- الرواية- ص٣٩

٢- الرواية – ص ٦٢-٦٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عام(١٩٧٤م) بعد الحرب إلى الكويت للعمل في وظيفة محاسب بشركة "العصيمي للبناء والتشييد"، وفيها تعرفت على موظفة مصرية أعجبتني، سرعان ما خطبت يسرية من أبيها المصري مدير الحسابات بالشركة، وفي أقل من عام تزوجتُ، ثم أنجبتُ أربعة ذكور...كان علي أن أضاعف جهدي فاستقلتُ من الشركة؛لأشغل وظيفة خبير تجاري في إدارة الخبراء بوزارة العدل الكويتية بمرتب ضعف مرتبي بالشركة وعرَّفتني الوظيفة الجديدة برجال مال وأعمال، وعدد من الشخصيات الاقتصادية المرموقة...فانهالت علي عروض سخية من شركات أخرى. استقلت من وزارة العدل متبعًا طموحي، وأنشأت مع صديق كويتي شركة "الاستشارات التجارية" درَّت علينا أموالا طائلة اقتسمناها، ثم استثمرت نصفها في"سوق المناخ" لأحصل على أرباح طائلة، وفي عشر سنوات صرت من أصحاب الملايين."[١]

غير أنه لم يكف عن التفكير فيها ولم يستطع وقف إحساسه بندم عنيف تملك عقله وقلبه، واكتفى فقط بمتابعتها وإحاطتها بسياج من الحرص والخوف، ومراعاة الأصول. كاد له (دهشان الكردي)، ودبَّر له حادثًا مروّعًا أثناء عودته من الإسكندرية عقب جلسة ساخنة في المجلس، فيها فتح (زهران الغانم) النار على نواب القروض والمساندين لهم، الذين يتسترون على جرائم رجال أعمال أهدروا المال العام، ويدافعون عنهم في السر والعلن، راحت (يسرية) زوجة (زهران) ضحية هذا الحادث المدبر، الذي كان يستهدف زهران الغانم، وأخبرته هناء الذهبي عبر الهاتف أن زوجها (دهشان الكردي) وراء هذا الحادث، ومعها دليل إدانته،وهو عبارة عن مكالمة هاتفية مسجلة، وأخذت (هناء) من (زهران) موعدًا لتسليمه هذا الدليل؛ حتى يتمكن من إدانة (دهشان الكردي)، وها هي تصف مشهد

١- الرواية ص ١٨-١٩

تسليمه دليل الإدانة قائلة:" ها أنا أشاهد زهران في وضح النهار يعبر الشارع ويمشي فوق الرصيف متجهًا إلى باب نادي التجاريين أتابعه من سيارتي المتوقفة أمامه، أنتظر حضوره، فأنا على موعد لتسليمه دليل الإدانة .

قبل أن يقترب من مكاني مرت بي سيارة "جيب" سوداء تسير ببطء بداخلها شابان يرتديان سترتين سوداوين...أحسستُ بقلق يغزو قلبي، فتسارعت دقاته حدقت في وجهيهما فازداد قلقي ونشط توتري...تجاوزتني السيارة البطيئة بعدة أمتار ثم توقفت .

فجأة برزت من النافذة اليمنى ماسورة مدفع بيد الشاب المجاور للسائق أطلق الشاب على زهران وابلا من الرصاص، ثم أسرعتْ بمغادرة المكان....صرختُ دون أن يخرج صوتي هرعت مغادرة السيارة وبيدي اليمنى المظروف ؛لأرى زهران قد سقط فوق الرصيف اقتربت منه وأنا أحمل بيدي دليل الإدانة...شريط التسجيل...افترشت الأرض وأرحت رأسه فوق ساقي تطلّع إلي بابتسامه صافية ودماؤه غزيرة تسيل من فمه وأنفه ، سمعته بصوت لا يسمعه سواي : أكملي...أكملي. لابد من إسقاطهم بالقانون قلت مقهورة: معي دليل إدانته...لن أسكت مهما حدث...لم يعرف بالموعد أحد غيري...آه سجّل دهشان مكالمتي خفية؛ فحدد المكان وعرف الزمان...أسرعت إلى تليفون سيارتي واتصلت بشقيقي أيمن وصديقنا أكرم الدهان...عدتُ إلى زهران وأرحت رأسه على ساقي مرة ثانية وهززته فلم يتحرك فصرخت طالبة النجدة والإسعاف...تواصل صراخي فترة من الزمن...وجاءت سيارة إسعاف، وها هي سيارة شرطة تقترب منّا وحمل رجال الإسعاف زهران إلى سيارتهم، وقال أحدهم: الرجل مات....بينما

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دعاني ضابط محقق إلى قسم شرطة الجيزة القريب لأخذ أقوالي"[١]... ثم تقول:" ها أنا الآن أجمع متعلقاتي الصغيرة في حقيبة متوسطة الحجم...لابد من الخروج الآن دون عودة وبلا سائق أرغب في أن أسير وحدي في ظلام الصحراء الخلفية....فعندي يقين بأن ضوءًا سيسطع فجأة؛ ليبدد الظلام الحالك الثقيل."[٢]

- **المؤلف وصدى تجربته العسكرية**:

الكاتب والروائي والناقد والأكاديمي الأستاذ الدكتور حسن البنداري أستاذ البلاغة والنقد بجامعة عين شمس، قضى ست سنوات مجندًا في الفترة التي تلت عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين؛ تلبية لنداء الوطن، ودفاعًا عن ترابه، وتضحية من أجل تحقيق حلم النصر والتحرير، واستعادة الكرامة، والثأر من الأعداء.وقد ظهر صدى هذه الفترة من حياته واضحًا في جل مؤلفاته الإبداعية التي تجاوزت العشرين مؤلفًا ما بين روايات وقصص قصيرة[٣] تطرق فيها إلى الجانبين السياسي والاجتماعي على حدٍ سواء، هذا

١- الرواية ص ٨٤-٨٦

٢- السابق ص ٩٠

٣- ومن رواياته : صخب الهمس – ط١ -بورصة الكتب ٢٠١١م- أحزان حمزة ط١ – بورصة الكتب ٢٠١٥م – سلوى الروح ط٣- بورصة الكتب ٢٠١٥م – العائد بالحب – ط٣ -بورصة الكتب ٢٠١٥- فوق الأحزان ط٣ – بورصة الكتب٢٠١٥م – تحت الأحزان ط٢- الأنجلو المصرية ٢٠١٧م- سهام غير شاردة ط٢- الأنجلو٢٠١٧م- أناهيد زهرة القمر ط٢ – الأنجلو٢٠١٧م – ثلاثية الحزن ط١ – الأنجلو٢٠١٧م – ثلاثية الحب ط١ -الأنجلو ٢٠١٧م- هاميس ط١ -الأنجلو ٢٠١٩م – هدير الصمت ط١ – الأنجلو ٢٠١٩م – أحزان حازم المنصوري(تحت الطبع)

ـ ومن المجموعات القصصية : الجرح ط٤ – بورصة الكتب ٢٠١٣م- الكلام ط٤ -بورصة الكتب٢٠١٣م- أمواج الفردوس ط٣ – بورصة الكتب ٢٠١٨م – يوم ط٢ – بورصة الكتب ٢٠١٥م- الصياح في الوديان ط٢ – الأنجلو٢٠١٨م- طائر الحب الحزين – الأنجلو٢٠١٥م- تغريدة البلبل – بورصة الكتب ٢٠١٧ – مرايا الحب – الأنجلو ٢٠١٥م – جوهرة – الأنجلو ٢٠١٧م – بوْح الترانيم الأنجلو ٢٠١٩م .

فضلا عن مؤلفاته العلمية التي تجاوزت سبعة وثلاثين مؤلفًا[١]، جال خلالها في التراث العربي الأدبي – البلاغي والنقدي على حدٍ سواء – فقد أولاه عناية كبيرة حيث خاض في تقنياته السردية وجمالياته ونظرياته والاتجاهات الحديثة والمعاصرة في دراسته.

وقد ذخرت المؤلفات الإبداعية بصدى تجربته العسكرية؛ فهو إما يتحدث عنها حديثًا مباشرًا واصفًا عمليات عسكرية أو ترحيلية لضباط وجنود، أو أماكن عسكرية معينة، وإما أن يسترجعها نتيجة مؤثر ما خارجي تطلب استرجاع الماضي،واستدعاء ذكريات ومواقف أو استحضار أشخاص خاضوا معه التجربة. فيقول– مثلا– في رواية (فوق الأحزان):"ها نحن الآن في مارس ٦٩، مضى عام وستة شهور على وقوع الكارثة، ولم يحدث تقدم أو عبور شامل ثمة عمليات جزئية تجري عبر ضفتي القناة سواء بالمدفعية أو بالطيران، وبالتسلل خلف خطوط المواجهة، فهل تستمر هذه الحال إلى الأبد."[٢]

١– ومنها على سبيل المثال وليس الحصر : فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ ط٣– الأنجلو ٢٠١٧م– في البلاغة العربية (علم البيان) ط١ – الأنجلو ١٩٩٨م – قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم – الأنجلو ١٩٨٩م– إحكام النص الشعري في الموروث النقدي والبلاغي ط١ – الأنجلو٢٠٠٠م – النثر الفني في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ط١ – الأنجلو ٢٠٠٣م – تقنيات السرد في الشعر العربي ط١ – بورصة الكتب٢٠١٣م – اتجاهات معاصرة في دراسة النقد العربي القديم – بورصة الكتب ٢٠١٥م – جماليات الرسالة في التراث العربي من العهد النبوي إلى نهاية العصر العباسي – بورصة الكتب ٢٠١٨م – نظرية الإبداع الشعري عند حازم القرطاجني – دار النابغة٢٠١٨م

٢– رواية فوق الأحزان ص ١١٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي موضع آخر من الرواية نفسها ، يقول: "رأيتني أهرع إلى علم الوطن الذي رشقه جندي من مشاتنا فوق هضبة قريبة ؛لأن العلم أوشك أن يميل، سارعت إلى الهضبة....فثبته بقوة في اللحظة التي رأيت فيها جنديًّا يسقط العلم الإسرائيلي ويغرس بدلا منه علم الوطن...وها هو علم وطني يعتلي المكان بعد خمس سنوات وعشرة أشهر."[١]وفي رواية صخب الهمس يقول:" وتوزعنا على سلاح المشاة من منطقة تجنيد واحدة عام ٦٨...وخضنا معًا حرب الاستنزاف وحرب ٧٣، جمعتنا هموم وطننا عقب الحرب وبعد اتفاقية السلام الشهيرة."[٢]

وفي رواية تحت الأحزان ،يقول: "أمضينا الساعات الطويلة طوال حربي الاستنزاف و٧٣. جمعتنا معارك.. بقينا نحن التسعة أحياء بعد أن فقدنا في نهاية عام ٧٢ ثلاثة أصدقاء."[٣]وفي الرواية نفسها في معرض حديثه عن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م يسترجع تلك الفترة العصيبة من تاريخ الوطن قائلا:" لابد من وقفة صادقة من أجل وطني، وحانية عليه مثلما حدث عقب هزيمة ٦٧: خمس سنوات مضت على الهزيمة – الشباب والكهول والشيوخ ينشدون إعادة بناء النفوس واستعادة الروح؛ لتخليصها من فداحة الإحساس بالهزيمة، حتى بات الخلاص الشغل الشاغل والهدف الأسمى إلى أن عبر الوطن الهزيمة وتجاوزها بحرب٧٣"[٤] وفي روايته العائد بالحب يقول:" هجرت الوطن عام ١٩٧٥م؛ ظنًّا مني أنني أديت دوري نحوه . حقًّا

١- السابق ص ٢١٥

٢- رواية صخب الهمس ص١٢٩

٣- رواية تحت الأحزان ص٥٩

٤- رواية تحت الأحزان ص

تحقق نصرٌ تاريخي بالعبور الكبير في أكتوبر عام ١٩٧٣م، شاركتُ فيه، لكن الوطن كان بحاجة إليك ؛لتضميد الجراح وجبر المكسور."[١]

وهكذا نجد هذه الصورة النصيّة الدلاليّة ممتدة في أعمال المؤلف الإبداعية جميعها بوصفها صدىً لتجربته العسكرية؛ فتكرارها إنما ينم عن إصراره وإلحاحه على إيصالها كاملة إلى المتلقي،كما يدل على تأثره الشديد بتلك الفترة العصيبة من تاريخ الوطن وسعادته الغامرة بالعبور الكبير في أكتوبر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، وتحقيق حلم النصر كما يهدف الكاتب من تكرار هذه الصورة إلى إيقاظ الوعي الوطني لدى المتلقي وبث روح الوطنية فيه ولاسيما الأجيال التي لم تشهد تلك الفترة.وفي هذه الرواية – موضوع الدراسة– ظهرت هذه الصورة واضحة مجسدة في شخصية (زهران الغانم) بطل الرواية، كما سنرى ذلك تفصيلا في تحليل أبعاد الشخصية و علاقتها بالقضية الرئيسة و موقفها من مرتكز النص الرئيس و هو العنوان.

١– رواية العائد بالحب ص ١٣٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول:

عتبة النص (هدير الصمت) و مستويات البنية والدلالة: عرض و تحليل

أصبح للعنوان وظيفة رئيسة في العملية الأدبية الإبداعية لدى المرسل، وغدا جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى النّاص؛ لاصطياد القارىء وإشراكه في لعبة القراءة ،كما غدا بعدًا من أبعاد استراتيجية القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله.[١] كما يتسم العنوان في الأعمال الأدبية باختزاله التركيبي والدلالي؛ مما يدعو القارىء إلى كشف غامضه،وإيضاحه وتفكيكه إلى عناصر لغوية للوصول إلى دلالة واضحة تستكنه أغواره، وتبين مدى تعالقه وترابطه وامتداده الدلالي داخل النص الأدبي.

وفي الرواية موضوع الدراسة يطالعنا عنوانها (هدير الصمت) بوصفه العنصر الأكثر حضورًا من عناصر النص الموازي[٢]، ومدخلا رئيسًا للولوج إلى متن النص، مسترعيًّا انتباه المتلقي، وجاعله يستحضر الصورة الذهنية المصاحبة للعنوان؛ ليستكشف دلالاته ومدى ارتباطه المباشر أو غير المباشر بجسد النص. وهذا العنوان في هيئته التركيبية ليس فيه ما يدل على زمان أو مكان أو شيء إنما يدل على حدث الفاعل فيه أو البطل، هو الصمت؛ لذا فهو للوهلة الأولى يخالف توقعات المتلقي؛ لأن النص الحكائي

١- د. خالد حسين – في نظرية العنوان (بتصرف) ص١٥-١٦

٢- النص الموازي أو النص المصاحب – كما عرفه بعض النقاد المحدثين- بأنه:" مجموع النصوص التي تخفر المتن، وتحيط به من عناوين وأسماء المؤلفين، والإهداءات، والمقدمات، والخاتمات والفهارس، والحواشي ، وكل بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره" انظر : فيصل الأحمر – معجم السيميائيات ص ٢٢٣

بصفة عامة طالما حوى أحداثًا ذات ضجيج وصخب، يعلوان ويهبطان وفق ما تقتضيه مجريات الأحداث. وما تحمله كلمة (هدير) مضافة إلى كلمة (الصمت) من دلالة على ضجيج ذلك الصوت المكتوم المتردد في الحنجرة يجعل المتلقي منجذبًا، ومتطلعًا إلى قراءة واعية لهذا العمل الأدبي؛ ليستبين أثر الصمت الصاخب في توجيه أحداثه.

وإيضاحًا للتوظيف الدلالي الذي يلعبه الصمت في هذا العمل الأدبي الروائي ينبغي الوقوف حيال بنية العنوان وقفة تفكيكيّة،حيث أكد النقاد المحدثون أن الصياغة اللغوية لأي عنوان ليست مشروطة بصورة محددة؛بل إن للكاتب مطلق الحرية في قولبة عنوانه وصياغته كما يتراءى له ؛ فقد يأتي العنوان في صورة كلمة، أو مركب وصفي،أو مركب إضافي، كما يكون جملة (فعلية أو اسمية) ، وأيضا قد يكون أكثر من جملة.[١] وتتبعًا لغويًّا للوحدة المعجمية (هدير) التي منحت شقيقتها (الصمت) حركة وصخبا وضجيجا، وبإسقاط دلالاتها اللغوية على أحداث الرواية وشخصياتها، نجد حضور عتبة النص حاملة أبعادا و إشارات مختلفة، كشفتها المستويات اللغوية الموازية على النحو الآتي:

١. على المستوى المعجميّ:

ورد في اللسان:" هدر البعيرُ يهدرُ هدرًا وهديرًا : صوَّت في غير شقشقة وكذلك الحمام يهدر، والجرة تهدر هديرًا ، وتردد صوت البعير في

١- محمد فكري الجزار – العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة- ١٩٩٨م – ص ٣٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حنجرته"[١]، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة:" هدر الحمام: ردَّد صوته في حنجرته وسجع"[٢].

وتوظيف الكاتب لكلمة (هدير) وما تحويه من دلالة على التردد الصوتي تشعر القارىء بأن ثمة ضخبًا قويًّا لهذا الصوت على الرغم من أنه لم يتجاوز حدود الحنجرة؛ ليوحي بتلك الضغوط النفسية والتوتر والحزن والهموم الناتجة عن الحالة النفسية والمزاجية المضطربة التي خيَّمت على شخصيات الرواية وأحداثها،وظهر ذلك في عبارات موحيّة على مدار النص الروائي كله، ومنها:

- " شملنا صمت ساعد على اضطراب صدري بالغيظ"[٣]
- "من الخطر أن أفضفض مثلهن"[٤]
- "هتفتُ وأهتف الآن بصوت مكتوم"[٥]
- "صرختُ دون أن يخرج صوتي"[٦]

وهذا الهتاف المكتوم ، والصراخ الصامت كانت له أسبابه النفسية والاجتماعية التي سيرد الخوض في ملامحها لاحقا.

١- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ) – لسان العرب – دار صادر– بيروت – مادة (هدر)

٢- أحمد مختار عمر – معجم اللغة العربية المعاصرة – عالم الكتب –ط١– القاهرة –٢٠٠٨م – ٢٣٣٢/٣

٣- الرواية ص ١٦

٤- السابق ص ٢٩

٥- السابق ص ٥٤

٦- السابق ص ٨٤

٢. على المستوى الصوتيّ:

تضمنت المفردة (هدير) أربعة فونيمات تركيبية صوتية متباينة –صفة ومخرجًا– ذات دلالات صوتية متمايزة، ولكنها تآزرت وتلاحمت؛ لتشكل مجتمعة الدلالة المعجمية للكلمة.فالهاء ذلك الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس الذي لا ينغلق معه الهواء عند النطق به يوحي بالرغبة في البوح عمَّا في داخل النفس من هموم وأحزان، وأُرْدِف هذا الصوت بصوت (الدال) الانفجاري المجهور، الذي منح الكلمة دويًّا صوتيًّا عاليًا يتردد في حنجرة المهموم لا يسمعه سواه، هذا فضلا عن المدى الزمني الطويل الذي استغرقه ذلك الصوت الصامت(الدال) بفضل الصائت الطويل (ياء المد) الذي يؤكد أن هذا الصمت الممزوج بالهموم والأحزان والمعاناة ،وعدم القدرة على البوح قد عانى منه المجتمع زمنًا طويلًا. وقد تأكدت هذه الدلالات الصوتية بكثير من الأطر الدلالية في متن الرواية، ومنها:

– ما جاء على لسان (هناء الذهبي) تقول:" أمقدرٌ لي أن أكتفي بالاستماع إلى الشكاوى طول الوقت مع رفضي في أن يسمعني أحد"[١]؛ فهذا الاستفهام التقريري يؤكد رغبتها في البوح والإعلان عمَّا ينداح به صدرها من أحزان وهموم ثقال، وفي الوقت نفسه ترفض أن يستمع إلى شكواها أحد فتُؤْثر الصمت، الذي ستُرصَد أسبابه تباعا.

– وقد أضفت الدلالة الصوتية لأصوات المفردة (هدير) بظلالها الإيحائية على المحتوى القضوي للنص الروائي برمته؛ إذ إن طغيان دلالة الصوت الانفجاري المجهور القوي(الدال) على الصوت الاحتكاكي المهموس

١– الرواية ص٣٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الضعيف (الهاء) وغلبتها وسيطرتها على الدلالة العامة للكلمة أشبه بالشخص الأقوى الذي قضى المؤلف أن يبقى بماله وسلطته ونفوذه وحاشيته وأعوانه – تلميحًا للجو العام في تلك الفترة– ويمثله دهشان الكردي:" عضو الحزب الوطني... عريق في التدبير للإيقاع بخصومه...ولولا صداقته لبعض كبار المسئولين بالحزب لما بزغ نجمه وعلا صوته."[١] كما قضى بهلاك الأضعف الذي يحارب الفساد والمفسدين بمفرده ؛ دفاعًا عن وطنه ويمثله (زهران الغانم) البرلماني المستقل ،يقول:" فرشحتُ نفسي مستقلا في دورة ١٩٩٠م ففزتُ بناخبي البدرشين"[٢]

وانتهت المفردة (هدير) صوتيًّا بالراء ذلك الصوت التكراري الذي منحها دلالة التكرار والتردد والحضور الدائم في النص؛ فهذا الصمت الصاخب المعبِّر عن نفسية مضطربة غير مستقرة كان حاضرًا مع أبطال الرواية الثلاثة على مدار النص الروائي كله حتى مع شخصية (دهشان الكردي)، الذي يمثل الظلم والقهر والفساد، يقول:" هتفتُ وأهتفُ الآن بصوتٍ مكتوم: عاصفة البنات والأقارب والأصدقاء والخصوم عاصفة متوقعة ويجب الاستعداد للمواجهة..."[٣]

٣. على المستوى الصرفيّ:

جاءت كلمة (هدير) مصدرًا للفعل (هدر) على زنة (فعيل) مزيد بحرف واحد وهو الياء الواقعة بين العين واللام دالا على صوت، غير أنه –

١– السابق ص١٠

٢ السابق ص ٦٤

٣– السابق ص ٥٤

من واقع النص- صوتٌ مكتوم لا يتجاوز حدود الحنجرة إلى الشفتين؛ خوفًا وقهرًا تارة ، واحترامًا للأعراف الاجتماعية تارة أخرى – وسيظهر واضحًا الامتداد النصيُّ لهذه الدلالات في الصفحات القادمة.

٤. على المستوى التركيبيّ:

جاءت البنية التركيبية لعنوان الرواية في صورة مركب اسمي غير إسنادي، أو مركب اسمي ناقص ،وهي صورة المركب الإضافي -هدير الصمت- الذي يتلازم فيه المتضايفان تلازمًا يصعب الفصل بينهما؛مما يؤكد استمرار هذا الحدث وديمومته على مدار النص كله ، وملازمته لبعض الشخصيات في الرواية ،مثل: (زهران الغانم) ، الذي طالما وصفه الكاتب بالصمت على مدار الرواية. يقول:" وكالعادة مال زهران الغانم إلى الصمت والاستماع"[١].

ووفقًا لـ(كوهين) يمكن تفسير العلاقة الامتدادية للعنوان في النص باللجوء إلى الجهاز المفاهيمي النحوي، فالعنوان:" يمثل المسند إليه أو الموضوع العام وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له. إنه الكلُّ الذي تكوّن هذه الأفكار أجزاءه"[٢] وبناءً على ذلك "ينال النصُّ مشروعيته من العنوان، فوجوده البنيوي رهين بوجود العنوان كما أن العنوان يقي الخطاب من الاندثار والتشتت والتلاشي .وعليه تُشكل العلاقة بين العنوان والنص ما يسمى -في النظام النحوي- بالمركب الإسنادي"[٣]

١- الرواية ص١٣

٢- جان كوهين- بنية اللغة الشعرية – ترجمة: محمد الولي و محمد العمري، الدار البيضاء – دار توبقال – المغرب-١٩٨٦م- ص١٦١

٣- خالد حسين – في نظرية العنوان – ص٤٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥. **على المستوى الدلاليّ**:

جمعت مفردتي العنوان :(هدير) و(الصمت) علاقةُ تضاد؛ فالهدير كلمة تدل على صوت، والصمت هو انعدام الصوت. واللفظتان – دلاليًّا تنتميان إلى حقل المجردات ؛غير أن اللفظة الثانية تميزت بملمح دلالي يعد من خصائص حقل (الموجودات العاقلة) ؛ إذ إن حقيقة الصمت لا يكون إلا لمتكلم عاقل وإسقاطه على لفظة (هدير) هو انحراف بالدلالة عن مسارها الحقيقي وإكسابها إيحاءً وجمالا لفظيًّا ،وبعدًا مجازيًّا أبعدها عن اللغة التقريرية.

فالمجال الدلالي للعنوان انتقل بالمجاز من المجال الحسي وهو تردد الصوت في الحنجرة بوجه عام – كما أكدت ذلك المعجمات العربية- إلى المجال المعنوي وهو الدلالة على معاناة شخصيات الرواية، التي تعرضت لمواقف أرقتها وأثارت بداخلها مشاعر مضطربة؛ فكان الصمت وكتم المشاعر الداخلية الغاضبة هو الملجأ والملاذ بوصفه وسيلة من وسائل الهروب من الموقف أو الابتعاد عن مصدر التوتر والانفعال فأخذ الصمت موقعًا مركزيًّا وريادِيًّا ممثلًا القضية الكبرى في السرد الروائي، وفي تصاعد الأحداث وهبوطها وتأزمها وانفراجها ، فنجده ممتدًا في ثنايا النص الأدبي بدلالاته وأسبابه المختلفة والمتنوعة حسبما تقتضيه طبيعة الشخصيات التي شكّلت الأحداث.

فبطلا الرواية يتسمان بالصبر والجلد، وقوة التحمل واحترام العادات والأعراف الاجتماعية، وفي الوقت ذاته هما عاشقان للحرية والتحليق في فضاءات واسعة نظيفة خالية من الظلم والقهر والاستبداد والفساد والمصالح الشخصية وشعور اليأس والإرغام، وعامرة بتحقيق العدالة والمساواة والتفاؤل والأمل والرضا وتقديم المصلحة العامة.

المبحث الثاني:

العلاقات النصية بين العنوان و البنية النصية: قراءة في المفهوم و الدلالة

اتفق اللغويون المحدثون على أن العلاقات النصيّة ذات طبيعة دلالية[١]، تجعلها تحقق تماسكًا كليًّا واستمرارية معنوية دلالية، ولاسيما إذا نظرنا إلى النصّ نظرة كلية في إطاريه المقامي والمقالي ؛وصولا إلى البنيـــة الكبـــرى للنص، التي تمتاز بطبيعة شمولية وبطابع كلي وأبعاد إطارية.[٢]وانطلاقًا مـــن هدفنا من تحليل هذا النص الروائي؛ بغية كشف العلاقات النصية وبيان أثرها الفعّال في ترابطه وتماسك وحداته وأطره الدلالية، يرتكز هذا المحور البحثي في هذا الموضع على بيان العلاقات النصية الارتباطية المعنوية بين العنوان والنص السردي الروائي وأثر ذلك الامتداد النصي الدلالي للعنوان في المتن، و ما يحدثه من تماسك البنية الكبرى للنص.

فالعنوان النواة التي يبنى عليها النص السردي وتتنامى عن طريقها استمراريته الدلالية، ويتحقق ترابطه المعنوي وتماسكه الكلي؛ تحقيقا لـــذلك يمكن تقسيم العلاقات النصية التي تجمع العنوان وبعض الأطر الدلالية داخل النص الروائي إلى عدد من العلاقات، جاءت على النمط الآتي:

أولا: علاقة التقارب الدلالي النصي للعنوان:

يقصد بها الصدى الدلالي لعنوان الرواية وأثره فـــي بعـــض الأطـــر الدلالية المذكورة على مدار النص الأدبي. وهذه العلاقة لا تتحـــدد بـــروابط

١- سعيد بحيري – علم لغة النص (المفـــاهيم والاتجاهـــات) – ط١ – لونجمـــان – القـــاهرة ١٩٩٧م – ص١٢٦

٢- صبحي الطعان – بنية النص الكبرى – ص٢٣٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لفظية بل تعنى بالإطار الدلالي برمته وتتمايز عن نظيرتها (علاقة التقارب الدلالي اللفظي) التي تعنى بالتقارب الدلالي بين لفظين يجمعهما حقل دلالي واحد،ولا تتجاوزهما؛ فهي "تتحقق حين تتقارب المعاني، لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملمح هام واحد على الأقل.....مثل كلمتي (حلم – رؤيا)."[١] وتتجلى علاقة التقارب الدلالي النصي للعنوان بصورة واضحة في الحوار الداخلي monologue،وهو كما عرَّفه النقاد المحدثون:" حديث النفس للنفس بعيدا عن أسماع الآخرين"[٢] وقد آثرت استعمال المصطلح (الحوار الداخليmonologue)– هنا –بوصفه نوعًا أدبيًّا شاملًا لكل أنواع أحاديث النفس؛ فهو يشمل المناجاة التي تعني:" تفكير الشخصية بصوت عالٍ وبتكثيف وتركيز عاليين"[٣] كما يشمل ما أسماه النقاد المحدثون (تيار الوعي) وهو تقنية معنية بالزمن النفسي للشخصية ومحاولة الدخول إلى المناطق المظلمة في الداخل الإنساني[٤]، وقد تمثل هذا الحوار الداخلي– في الرواية – في حقلين عامين من الحقول الدلالية ذات الأطر النصية المتقاربة مع العنوان، هما :

أ- استرجاع المواقف، واستحضار الغائبين:

فقد استرجع الكاتب مواقف عدة وتذكر أحداثًا مختلفة واستحضر غائبين في هذا النص الأدبي في (أربعة وعشرين) موضعًا على لسان بطلي الرواية (زهران الغانم – هناء الذهبي) ؛ ملقيًا بذلك الضوء على جوانب من

١- أحمد مختار عمر – علم الدلالة – ص٢٢١

٢- نبيل راغب – موسوعة الإبداع الأدبي – مكتبة ناشرون – ط١ – ١٩٩٦م – ص١٤١

٣- قيس عمر محمد – البنية الحوارية في النص المسرحي – ص٦٩

٤- السابق ص ٦٧

شخصيتهما وذلك باستحضار كل منهما صورة صاحبه متذكرًا مواقف جمعتهما في سنوات الدراسة، فها هي الذكريات تتداعى وتتوالى برأس (هناء الذهبي) ؛ إذ تسترجع مواقف من سنوات الدراسة جمعتها بزهران الغانم وهذا الاسترجاع نتيجة مؤثر جديد هو تسلمها دعوة لحضور حفل نادي التجاريين الذي أقيم بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على تخرج دفعة عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين، تقول:" رأيت زملاء الدفعة يتدرجون من سنة إلى أخرى، ورأيت نفسي محط أنظار جميع الفتيان والفتيات.....ورأيت زهران الغانم الصامت الخجول الذي ينطوي على نفسه أغلب الوقت.... ورأيته وهو يغار علي من أي فتى يقترب مني ، وشاهدته وهو يصعد معي إلى منصة قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة....ورأيته في الأورمان يحمل دبلتين فضيتين أدخل بنصري الأيمن في واحدة محفور بباطنها اسمه وتاريخ أول لقاء.....ورأيته ثائرا بعد يوم من هزيمة يونيو١٩٦٧م وناقما على المسئولين عنها ، ولاحت برأسي صورته وهو يقبل على مجلسنا المعهود بالأورمان بعد سبعة أشهر من الهزيمة المروّعة بالبدلة العسكرية.....ورأيته لم يكترث بقولي تقدم شاب لخطبتي أمس .....ورأيتني لم أصمد ولم أستطع الموافقة فوافقت على دهشان."[١]

فقد ظهر واضحًا الصدى الدلالي للعنوان في هذا الإطار الدلالي الاسترجاعي لبطلة الرواية وقد عزَّزه الكاتب ودعّمه ببعض الضمائم اللفظية التي تؤكد هذا الحوار الداخلي الذي أبرز مكنون الشخصية وألقى الضوء على ما يجول بداخلها من مشاعر وأحاسيس ومن هذه الضمائم اللفظية (التراكيب الفعلية: شاهدته – رأيتني – رأيته – لاحت برأسي) ؛ لتناسب

١- الرواية ص٨-٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التعبير عن الأحداث الماضية واسترجاع الذكريات استرجاعًا يوازي الصمت القوي الصاخب والصراخ المكتوم المخيّم على دلالة العنوان؛فهو صمت ملؤه الندم والحسرة والأسف والحزن ؛لفراق الحبيبين اللذين حالت ظروفهما دون الارتباط،والاقتران .كما تمكن الكاتب عن طريق سياق الاستعادة والاسترجاع والاستحضار أن يحوّل الرؤية البصرية في (رأيته) إلى رؤية فكرية.

ب- الحوار مع الذات:

وهو هنا آلية من آليات المونولوج الداخلي توسَّل بها الكاتب لجعل شخصيات روايته مرسلة ومستقبلة في آنٍ واحدٍ. وحوار الشخصية مع ذاتها يكشف للقارىء عن مكنوناتها الداخلية وإحساساتها ومشاعرها سواء كانت مشاعر رضا أو مشاعر سخط كما يظهر معاناة الشخصية وسماتها الفكرية، و يدعم ويعزز الصدى الدلالي لدلالة الصمت في العنوان. كذلك استطاع الكاتب أن يوظف لشخصياته الروائية(هناء الذهبي – زهران الغانم – دهشان الكردي) حوارًا مع ذاتها؛ مستخدما قرائن لفظية تدعم هذا الحوار الداخلي، وتتمثل في (حدّثت نفسي – أحدّث نفسي – أهمس لنفسي – واصلت الحديث إلى نفسي). وجاءت هذه التراكيب متلوة بعبارات توحي بحالة نفسية ومزاجية سيئة وغير مستقرة؛ فضلًا عن اللازمة التكرارية في الرواية، وهي عبارة(قلت في نفسي) فقد استعملها الكاتب استعمالا مغايرًا، سيرد ذكره فيما بعد. و مثَّل انعكاس العنوان في السياق الحواري عدة حالات للنفس بين التشتت و المعاناة. وقد أظهرت الأطر الدلالية الخاصة بحوارات الشخصيات مع ذاتها الحالات النفسية التي كان عليها المتكلم ومعاناته، وما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس متنوعة ومنها:

- **الشعور بالتخاذل والصبر على الواقع المرير**:

فقد انتاب هذا الشعور بطلة الرواية (هناء الذهبي) عقب مواجهة زوجها دهشان الكردي ؛ محتجة على علاقاته النسائية، فطلب منها نسيان هذا الأمر والسكوت عنه، مهددًا إياها بسمعة بناتها وأزواجهن، الذين يحتلون مراكز مرموقة في البلد، تقول:" هرب صوتي ووهنت قواي فأطرقت وأنا أحدث نفسي متخاذلة لا يمكن إيذاء البنات، وما علي إلا أن أصبر وأصبر وأنسى أو أتناسى ، فلو سارعت إلى إعلان احتجاجي ورفضي لصرتُ مادة في المجالس الخاصة ولصحف أحزاب معادية لدهشان."[١]

فيلاحظ في هذا الإطار الدلالي أن الكاتب وظَّف الكثافة الدلالية توظيفًا تدرجيًّا، وقد أعانه على ذلك استعماله لبعض القرائن اللفظية المذكورة ؛ فقد بدأ المستوى الدلالي الأول (أصبر) بتكرار صياغته ليؤكد ضرورة أن تكثِّف هناء الذهبي صبرها وتضاعفه؛ لتستطيع تحمل هذا الواقع المرير، ثم ينتقل بالدلالة إلى درجة أكثر كثافة باستعماله القرينة اللفظية المتمثلة في الفعلين(أنسى أو أتناسى) فالأمر لم يعد مقتصرًا على الصبر فحسب،بل بات من الضروري أن تتجاوزه إلى مرحلة النسيان أو التناسي؛ لتظهر البطلة بمظهر الراضية بهذا الواقع المرير، ثم يصل الكاتب بالدلالة إلى أعلى معدل تكثيفي وذلك باستعماله للتركيب الشرطي المقيَّد بمقدمات ونتائج؛ فلو لم تصبر أو تنسى سيصل الأمر إلى التشهير بها وبسمعة بناتها في المجالس الخاصة والصحف والأحزاب، و ربما أدى الأمر لفقد حياتها.

١- الرواية ص١١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهذا الإطار الدلالي من أوله إلى آخره يعد امتدادًا دلاليًّا نصيًّا للعنوان، فقد خيمت عليه دلالة العنف والقوة والإرغام على الصمت،وعدم البوح، بل والتظاهر بالرضا بهذا الواقع المرير، وهذا بالنسبة إلى المنجز النصي من شأنه أن يحدث تماسكًا ووحدة دلالية مستمرة في النص كله.

- **الشعور بالأسى والحسرة**:

وظف الكاتب –أيضا– آلية حوار الشخصية مع ذاتها في عدة مشاعر و أحاسيس أخرى، و منها شعور الأسى والحسرة بشقيه. ذلك الذي يتملك "دهشان الكردي" كلما اقترب من زوجته في لقاءٍ حميمي؛فهو يشعر أنها ليست معه، وأن قلبها وتفكيرها وشرودها في زهران الغانم غريمه في المجلس وزميل دراستها. يقول:"حدَّثت نفسي بأسى:لكنني عقب الأداء الحميم أعود إلى التفكير في سرّ شرودها،وأهمس لنفسي بحسرة:أعلم أنها لا تكف ولن تكف عن التفكير والشرود في زهران الغانم."[١]

ففي العبارتين اللتين أعقبتا تركيبيّ:(حدّثت نفسي،وأهمس لنفسي) نجد أن العبارة الأولى تحوي – ضمنيًّا– دلالة الجهل المتعمد من دهشان بسرّ شرود زوجته وتفكيرها،بينما في العبارة الأخرى يؤكد لذاته أنّ سر شرودها وتفكيرها الدائمين إنما هو في زهران الغانم.فقد ظهرت براعة الكاتب –هنا – في انتقاء العبارات المناسبة للدلالة واختيارها بعناية شديدة؛ إذ وظّفَ (حديث النفس) في تركيب (حدّثتُ نفسي بأسى)– وهو أعلى صوتًا وأشمل من الهمس للذات– توظيفًا يناسب الجهل المتعمد من الزوج بسرّ شرود زوجته،وكأنه في لحظة لقائه بزوجته لا يود أن يجابه نفسه بهذه الحقيقة

١– الرواية ص٥٠

المريرة المؤلمة، وعقب هذا اللقاء يهمس لنفسه بحسرة مصرّحًا لذاته ومؤكدًا لها أن شرود زوجته وتفكيرها إنما هو في زهران،وفي كلتا الحالتين توجب عليه الصمت وعدم البوح.وكأن الكاتب قد عمد أن يكون هذا الإطار الدلالي حوارًا داخليًّا لا يتعدى ذلك إلى الجهر والبوح لدواعي اجتماعية ونفسية.

- **شعور المكاشفة الممزوجة بالندم والأسف**:

وكذلك أظهرت آلية حوار الشخصية مع ذاتها شعورًا آخر، يحاور زهران الغانم ذاته حوار مكاشفة ومصارحة يحمل في طياته ندمًا وأسفًا؛ فيذكر المبررات التي سوّغت له ترك (هناء الذهبي) وحالت دون اقترانهما وارتباطهما، فكانت ظروفه أقوى من رغبته في الارتباط يقول:" قلت لنفسي أيضا: إنّ قراري بالتخلي عندما علمت بنبأ احتمال خطوبتها سوّغه دائمًا فقري واحتياجي،وقلة حيلتي،واستدعائي للتجنيد بعد ستة شهور من هزيمة الوطن في يونيو ٦٧....استرحتُ إلى قراري واختفيت لكنها لم تغب عن ذهني، وكم صحتُ بصوت كلما خلوت إلى نفسي في مواقع الخطر بجبهات القتال: كيف يمكن التفكير في الزواج ووطني مهزوم يطالب أبناءه بتحرير سيناء؟"[١]

فالكاتب في هذا الإطار الدلالي يلقي الضوء على جانب من جوانب شخصية بطل الرواية الذي يتسم بالصمت والانطواء على نفسه معززًا ومؤكدًا تلك السمة .فهنا يحاور ذاته ويكاشفها بندم وأسف محاولا إقناعها راصدًا في حواره مسوّغات تخليه عن محبوبته، وهي فقره واحتياجه

١- الرواية ص٥٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعجزه وقلة حيلته من ناحية، واستدعاؤه للتجنيد بعد هزيمة الوطن من ناحية أخرى. ويستمر حواره الداخلي ممزوجًا بالندم حتى أقنع ذاته وصبّرها؛ فيتساءل تساؤلا تقريريًّا يستنكر فيه من التفكير في الزواج والوطن مهزوم يطالب أبناءه بتحريره، فهذه المهمة العظمى والأسمى التي ينبغي أن تتضاءل؛ بل تختفي أمامها كل الرغبات والإرادات؛ جعلته يتخذ قراره بالتخلي واستراح إلى هذا القرار.

فالصياح المكتوم المتمثل في المكاشفة والمصارحة مع الذات بندم وأسف، والصياح في الخلوة مع النفس كلها دلالات خيّمت على هذا الإطار النصيّ جعلته يقترب كثيرا من دلالات العنوان، وعزَّزت الصدى الدلالي له داخل النص ورسَّخته،كما أن امتداد دلالة العنوان بصورة متكررة في درج النص السردي يدعم وحدته وتماسكه واستمراريته الدلالية وترابط أطره.

أما اللازمة التكرارية في الرواية وهي عبارة (قلت في نفسي) فقد وظّفها الكاتب توظيفًا مغايرًا عن نظيراتها من العبارات – سالفة الذكر – معبرًا بها عن المشاعر الإيجابية لشخصيات الرواية مشاعر تنمُّ عن رضا واقتناع؛ فقد جاء هذا التركيب (قلت في نفسي) متلوًّا بعبارات تومىء إلى مشاعر نفسية إيجابية كمشاعر الرضا، والحنان، والاقتناع. فها هو (زهران الغانم) يحاور ذاته، وقد داخلته مشاعر حب، ورضا وحنان، وهو يصف شرود هناء الذهبي وهي جالسة في النادي، والهمّ البادي في نظراتها، وهو يعلم تمامًا سبب شرودها وهمومها،فيقول:" قلت في نفسي بحنان: أقرأ أفكار هناء الذهبي....دائمًا أقرأ أفكارك وأتفهم حيرتك ....."[١]

١- الرواية ص٥٧

كما تكررت هذه المشاعر النفسية الإيجابية المصاحبة لعبارة (قلت في نفسي) في حوار دهشان الكردي لذاته، وهو يصف إحساسه وشعوره تجاه ما قالته الشابة (أنغام)-التي كان يرغب في الارتباط بها – من كلام مطمئن ومشاعر رضا وحب تريح النفس، يقول:" وقلت في نفسي وقتها: كلام جميل، يشرح النفس ، وينعش القلب، ويزيل من الأفق أشباح الحزن ، ويقصي هجمات الهموم"[١] فالصمت في الإطارين الدلاليين السابقين جاء معبرًا عن مشاعر نفسية إيجابية.

وحال ورود هذه اللازمة التكرارية (قلت في نفسي) متلوة بمشاعر نفسية إيجابية وأخرى سلبية، نجد الكاتب يقدم المشاعر الإيجابية على الأخرى، وظهر ذلك جليًّا في الإطار الدلالي الذي وظّفه الكاتب؛ ليصف فيه الإحساسين المتناقضين اللذين انتابا (هناء الذهبي) عقب مكالمة صديقتها (ذكرى الباهي) التي أخبرتها فيها أنها وقعت في حب جديد شغل فكرها أغلب الوقت، تقول هناء الذهبي:" قلت في نفسي ربما يكون الرجل صادقًا في عواطفه، وربما يكون كاذبًا"[٢]

ثانياً علاقة الارتباط السببي:

تتعالق بعض الأطر الدلالية في النصّ الأدبي تعالقًا سببيًّا بدلالة عنوانه، وقد أظهرت بعضُ الأطر -المدعمة بضمائم لفظية تؤكدها- أسبابَ الصمت المخيّم على الإطار الدلالي لعنوان الرواية .ومن أسباب هذا الصمت:

١- الرواية ص ٥٤

٢- السابق ص

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أ- أسباب اجتماعية:

وبدت هذه الأسباب واضحة في الحوار الذي ساقه الكاتب على لسان هناء الذهبي وهي تؤنب ذاتها على رضوخها وقبولها الزواج بدهشان الكردي ، وكان بإمكانها أن ترفض ولكن لأسباب اجتماعية لم تفعل وصمتت تقول:" كان بإمكاني أن أحتج وأرفض من الأسبوع الأول لكنني سكتُّ كيف لمثلي أن يحتج ويرفض؟ أنا هناء ، أنا هناء الذهبي بنت العارف بالله رياض الذهبي كيف لي أن أهز أمام الناس صورته وألغي كلمته وأضعف من هيبته وأشكك في قرار موافقته على دهشان الكردي ؟! سكتُّ وضغطتُ عقلي وكبتُّ قلبي .....وتوالت مرات الحمل فانطويتُ على همِّي"[١]

عمد الكاتب من خلال هذا الإطار الدلالي إلى إلقاء الضوء على الجانب الاجتماعي في حياة هناء الذهبي ووالدها العارف بالله رياض الذهبي فبدأ الحوار – على لسان هناء- ذاكرًا ومؤكدًا أن القرار كان بيدها وكان يمكنها الرفض والاحتجاج على الارتباط بمن لا تحب ؛ فتستطرد حوارها لذاتها متسائلة تساؤلا تقريريًّا مجملا كيف لمثلها أن تحتج ، ثم يفصّل الكاتب هذا الإجمال بتكرار الضمير (أنا) مرتين ،وكذلك تكرار ضمير المتكلم المتصل (الياء) في كلمات (بإمكاني – لكنني – مثلي) ؛ ليؤكد حرصها على بقاء اسمها واسم والدها مرفوعين شامخين ؛فسكوتها وكبت عواطفها ورضاؤها بالواقع المرير ذلك حتى لا تلغي كلمة أبيها وتضعف من هيبته أو تشكك في قرار قبوله " دهشان الكردي" فأرادت أن تحافظ على صورته أمام الناس فقبلت وسكتت، ولما نصحها والدها بأن تصبر وتتجاهل ما تسمعه عن

١- الرواية ص١٧

زوجها فاستجابت له ،وصمتت وصبرت تقول:" نصحني أبي العارف بالله رياض الذهبي أن أصبر وأتجاهل ما أسمعه ؛فصمتُّ"[١]

ومن الأطر الدلالية التي تضمنت صمتًا لأسباب اجتماعية ممزوجة بأخرى سياسية: الإطار الدلالي الذي ساقه الكاتب متضمنًا حوارًا لدهشان الكردي مع ذاته حينما علم وتيقن من تفكير زوجته المستمر في زهران الغانم وتأكد من ذلك عقب تنصته على مكالمة هاتفية بينهما .يقول:" عالج الأمر بهدوء ودون صخب أو ضجيج ....فبناتكما الثلاث زوجات لشبان يحتل آباؤهم مراكز مرموقة في الدولة ولديكما أحفادًا لهم أصدقاء صغار مثلهم ، واسمك في الحزب محفور في الأذان وصوتك عال وجهوري يعرفه أعضاء الهيئة العليا للحزب ويعرفه أعضاء المجلس"[٢]

فها هو دهشان الكردي يخاطب ذاته ؛فقد أظهر هذا الإطار الدلالي- ضمنًا – ما ينداح داخله من مقت وكراهية لشخصيّ زهران الغانم وهناء الذهبي؛ فمشاعر المقت والكراهية والسخط والشعور بالغصة والمرارة هذه كادت أن تخرجه من إطار الصمت الواجب في مثل هذه المواقف؛ مراعاة لبناته وأزواجهن وأحفاده وكذلك مركزه السياسيّ ؛ وهو ما جعله يأمر ذاته ويحثها على التحلي بالحكمة وضبط النفس والتزام الصمت ،ومعالجة الأمر بهدوء .

١السابق ص٤١

٢- السابق ص٤٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب-أسباب نفسية:

ظهرت الأسباب النفسية واضحة في بعض الأطر الدلالية التي تعالقت بالعنوان تعالقًا سببيًّا ومنها:

- **الشعور بالضيق والكآبة**:

فنجد الكاتب يطالعنا في مستهل روايته بإطار دلالي يوشي بالحالة النفسية والمزاجية السيئة التي انتابت بطلة الرواية (هناء الذهبي) حينما فتحت باب شرفتها المطلة على الحديقة الواسعة الوارفة ؛ فعلى الرغم من انتعاش صدرها بالنسمات المسائية فإن ذلك لم يُزل انقباضه، ولم يُزل إحساسها بالضيق والكآبة يقول:" فبدت فيلات التجمع الخامس المغلفة بالصمت موحشة وغير مريحة"[١]

استطاع الكاتب في مستهل روايته أن ينقل لقارئه ويشعره بالجو العام المهيمن على الرواية (شخصيات وأحداث وأماكن) وذلك من خلال وصفه لمكان إقامتها بأنه موحش ومغلف بالصمت ؛ إيحاءً باستمرار الضيق والحالة النفسية والمزاجية السيئة التي تهيمن على ساكني هذا المكان فعلى الرغم من سعته وتميزه وكثرة حدائقه الخضراء وسعتها فإنه بدا – في نظرها– موحشًا وغير مريح ومغلفًا بالصمت ؛ بسبب ما يندلع داخلها من ضيق وكآبة وحالة نفسية سيئة وغير مستقرة انتقلت تبعاتها وانتشرت في المكان كله .فعنوان الرواية ألقى بظلاله الدلالية الإيحائية على هذا الإطار النصيّ الذي حوى قرائن لفظية تؤكد وتدعم الامتداد الدلالي للعنوان داخل هذا الإطار ومنها عبارة:(مغلفة بالصمت وغير مريحة) .

١- الرواية ص٥

- **شعور اللامبالاة وعدم الاكتراث**:

و هو من الأسباب النفسية التي أدت إلى الصمت؛ فهـا هـي هنـاء الذهبي لا تبالي بسلوك زوجها الذي زرع "بارًا" في الفيلا منذ الليلة الأولـى من الزواج ، ولم يكترث برفضها ورغبتها عن ذلـك التصـرف والسـلوك السيء، وكراهيتها لرائحة الخمر فسكتت ولم تعترض؛ تقول:" منـذ الليلـة الأولى من الزواج، في الفيلا "بار"به زجاجات خمر ونبيذ ولم يأبه برفضـي للخمر وكراهيتي للرائحة...ولكنني لم أعترض على البـار وزجاجاتـه ولا شكوت لأحد...كيف أعترض وأشكو وأنا لا أكترث بسـلوك دهشـان منـذ أعوام؟!"[١]

فقد خيمت الظلال الدلالية للعنوان على الإطار الدلالي السابق ، بدعم من القرائن اللفظية التركيبية التي رسخت دلالاته فاقترب من دلالة العنـوان وهذه القرائن هي:(لم أعترض) ،(ولا شكوت لأحد)، فضـلا عـن السـؤال التقريري (كيف أعترض وأشكو؟) الذي تضمن جوابًا وهو (وأنا لا أكتـرث بسلوك دهشان منذ أعوام) فشعور اللامبالاة من دهشان الكردي ظهـر فـي عدم اكتراثه برفضها للخمر وكراهيتها لرائحته ، مما أدى إلى انتقـال هـذا الشعور إلى زوجته ؛فأصبح لديها لامبالاة ؛ فلم تشكُ ولم تعتـرض ؛لأنهـا أيقنت أن الشكوى والاعتراض لا جدوى ولا فائدة منها ؛ فسكتت وصمتت.

- **شعور الخذلان والحرج**:

تجسدت الأسباب النفسية للصمت كذلك في الإطار الدلالي الذي حـوى شعورًا بالخذلان والحرج وقع فيه دهشان الكردي ؛ وقتما واجهه زوج ابنته

١- الرواية ص٣٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الكبرى "عمر الكيلاني" النقيب بمباحث أمن الدولة بورود شكوى بمعلومات عن علاقته بشابة في عُمْر ابنته ،وقد أرسل الخصوم لزوج ابنته صور جلساتهما في أماكن متعددة ومتنوعة فلم يستطع دهشان نفي ما قاله عمر الكيلاني ؛فصمت ، يقول:" بهتُّ ولم أستطع النفي لم أعلق. أطرقت قليلا ثم رفعت رأسي متأملا في مرآة كبيرة في الحائط تواجه مكتبي ، الوجه ممتقع مربد ،والعينان محملتان بالنكد وودتُ لو يغادر المكتب دون إبطاء...أدرك عمر مشاعري ورغبتي فانصرف دون كلام"[١]

كذلك أضفى العنوان بظلاله الدلالية على هذا الإطار الدلالي ؛فتأثر به واكتسب منه دلالة الصمت التي خيمت عليه بدعم من قرائن لفظية تركيبية وهي:(لم أستطع النفي)،(لم أعلق) ، (أطرقتُ)، (دون كلام) أكّدت دلالته ورسختها في ذهن القارىء ؛ فقد تولّد الصمت في هذا الإطار نتيجة الشعور بالحرج والنكد والخذلان الذي انتاب " دهشان الكردي" وكذلك زوج ابنته عمر الكيلاني.

ثالثاً: علاقة الإجمال بالتفصيل:

تضمنت الرواية بعض الأطر الدلالية التي فصّلت الصمت المجمل المهيمن على دلالة العنوان ،كما قيَّدت مطلقه أطر أخر،وهذه الأطر تعد امتدادًا نصيًّا للعنوان ؛ إذ تحمل في طياتها نوعين للصمت أحدهما مقصود والآخر غير مقصود.أما النوع الأول فهو الصمت المتعمد من شخصيات الرواية التي رغبت فيه وأيقنت بوجوبه؛ لدواعي اجتماعية ومنها:الحفاظ على الكيان الأسري و الخوف من اهتزاز صورته وهيبته. فتقول:" لا أرغب

١- الرواية ص ٥٢-٥٣

في أن يطلع أحد على أسرار حياة هناء الذهبي، آثرتُ الصمت وتجاهلتُ نظراتهن الداعية إلى البوح والاعتراف"[١]وتقول :" من الخطر أن أفضفض مثلهن.....لا أضمن أن يحافظ على سري أحد علاقتي بزهران الغانم يجب أن تظل في طي الكتمان وفضائح دهشان التي تصل تباعًا يجب التستر عليها من أجل البنات"[٢]وتقول:" نصحني أبي العارف بالله رياض الذهبي أن أصبر وأتجاهل ما أسمعه عنه؛ فصمتُ"[٣]؛ فعلاقة الإجمال بالتفصيل هنا مثلتها عدة أنماط دلالية، للصمت هي:

- **التدرج في الحالة وصولا لذروتها**:

في هذه الأطر الدلالية الثلاثة السابقة تعززت وتأكدت دلالة الصمت المقصود ببعض القرائن اللفظية التي وظّفها الكاتب توظيفًا تدرجيًّا تبعًا للسياق، ووفقًا لحدته الدلالية. فرغبة "هناء الذهبي" عن إفشاء أسرار حياتها وإيثارها الصمت، وتجاهلها نظرات صديقاتها الداعية إلى الاعتراف والبوح في الإطار الدلالي الأول ،هذه القرائن الدلالية أقل حدة من دلالة وجوب الكتمان والتستر، وخطر الفضفضة" للصديقات ؛ لتصبح أكثر حدة وكثافة فانتقى لها الكاتب ألفاظًا تتناسب وسياق الحديث عن تلك الأمور الشائكة التي قد تودي أو تعصف بالكيان الأسري بكامله، وقد استطاع الكاتب من خلال هذين الإطارين الدلاليين أن يلقي الضوء على الأسس والمباديء التي ينبغي أن تقوم عليها الأسرة ؛ لتظل متماسكة ومن بينها الحفاظ على أسرارها ،وكبح جماح الأهواء والرغبات، وهو ما استطاعت هناء الذهبي

١- الرواية ص ٢٩

٢ السابق ص٢٩

٣- السابق ٤١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الوصول إليه؛ حفاظًا على كيان أسرتها ،واستجابة لنصيحة أبيها الذي نصحها بالصبر وتجاهل ما تسمعه عن زوجها.

وعمد الكاتب من خلال هذه الأطر الدلالية السابقة إلى إلقاء الضوء على جانب آخر من جوانب شخصية (هناء الذهبي) وتصحيح مفهوم خاطيء قد يتملك القارىء ؛فعلى الرغم من ظروف حياتها الزوجية وارتباطها بـ" دهشان الكردي" بغير رغبتها وحرمانها ممن أحبت فإنها محافظة دومًا على كيان أسرتها وتخشى عليه من التفكك كما تخشى على رباط الزواج المقدس من الانحلال، ليس هذا فحسب، بل تقوم بدور الناصح والمرشد والموجه لصديقاتها الخمس وهي تعلم تمام العلم حجم مشكلاتهن الزوجية ومعاناتهن مع أزواجهن ، وقد ألمح الكاتب لقارئه في درج النص السردي أن هذه الجوانب الإيجابية في شخصية هناء الذهبي إنما مرجعها في الأساس إلى التربية والتنشئة الاجتماعية الصحيحة والتوجيه السليم إلى قدسية الحياة الزوجية وعمق رباطها ، وضرورة الإنصات إلى النصيحة والعمل بها حتى في أحلك الظروف النفسية والاجتماعية.

على الجانب الآخر نجد أن الكاتب يومىء إلى السبب النفسي للصمت المقصود أو المتعمد بإلقاء الضوء على جانب سلبي لشخصية ثانوية من شخصيات الرواية وهي شخصية "ذكرى الباهي" إحدى صديقات هناء الذهبي اللائي كنَّ يحضرن إلى صالون "فيلا السعادة" يوم الأحد من كل أسبوع للبوح والفضفضة عما بداخلهن من مشكلات ؛ فذكرى الباهي تملكها حب ذاتها وخوفها على نفسها من الإصابة بالأمراض النفسية ؛ بسبب ضغوط الحياة الزوجية ومشكلاتها فهي تفعل ما تريده ،يقول الكاتب:" صمتت برهة وأضافت: التحقيقات غير مجدية ،وأنا لا أحب وجع الدماغ فأفعل ما أرغبه

دون ضجة ومن غير شكوى....حاولت مرة أن أتحدّى فأصبت بانهيار عصبي قررت بعد الشفاء منه أن أهب قلبي إلى أي شخص أميل إليه"[١]

وقد تعززت دلالة الصمت المقصود أو المتعمد بالتركيب الفعلي "أفعل ما أرغبه دون ضجة ومن غير شكوى". ويجمع الكاتب الجانبين الإيجابي والسلبي في إطار دلالي واحد ؛ ليظهر التناقض بين الشخصيتين ،ومن هذا التناقض تتضح بجلاء وتبرز الملامح الإيجابية في شخصية بطلة الرواية(هناء الذهبي) ؛فهي لم تكتف بالاستماع إليهن فحسب ،بل تقدم لهن النصيحة والتوجيه ،يقول الكاتب:" ها هي ذكرى متمردة ومصممة على الهجر، بينما أكتفي أنا بإسداء النصح والتوجيه والإرشاد لذكرى والأخريات دون أن تشعر أية واحدة منهن بما ينداح في صدري وما يتردد في ذهني، وما يتعالى في وحدتي من صراخ مضمر أجتهد في قمعه وكتمانه وإخفائه"[٢]

تمكَّن الكاتب من خلال عرضه للقضية الصغرى في هذا الإطار الدلالي وهي قضية "ذكرى الباهي" أن يحولها إلى قضية كبرى مبرزًا بذلك التناقض بين الشخصيتين عبر علاقات الارتقاء الدلالي الإيجابي ثم الهبوط الدلالي السلبي ؛ليجعل القارىء متضامنًا مع الشخصية الرئيسة في الرواية ؛وليجعل منها نموذجًا إيجابيًّا للزوجة الصالحة الراضية والابنة المطيعة.أما الصمت غيرالمقصود فيعد بمنزلة المحرك الرئيس للأحداث والمكون للصورة النهائية لهذا النص الأدبي ، وقد وظّفه الكاتب بوصفه:سمة من سمات الشخصية أو عادة من عاداتها:

١- الرواية ص ٢٤

٢ السابق ص٣٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذلك في الأطر الدلالية التي ساقها الكاتب؛ ليلقي بها الضوء على شخصية بطل الرواية "زهران الغانم" وقد تدرج الكاتب بدلالة هذا الصمت شيئًا فشيئا حتى غدا سمة من سمات شخصية البطل ، يقول الكاتب على لسان "هناء الذهبي" رأيت زهران الغانم الصامت الخجول الذي ينطوي على نفسه أغلب الوقت"[١] في هذا الإطار الدلالي الذي حوى حوارا استرجاعيًّا لهناء الذهبي استحضرت فيه صورة "زهران الغانم" نجدها تنعته بالصامت الخجول المنطوي على نفسه ؛ غير أن دلالة المركب الإضافي (أغلب الوقت) جعلت الصمت أقل كثافة دلالية منها في الإطار الثاني الذي جعل الكاتب فيه الصمت عادة من عادات هذه الشخصية، يقول:" كالعادة مال زهران إلى الصمت والاستماع"[٢] ثم ارتفع بدلالة الصمت إلى أعلى معدل لها حتى غدا "زهران الغانم" في كل أحواله شخصًا موسومًا بالصمت توحي بذلك طلته وهيئته ، يقول:" وهيئة زهران بطلته الصامتة المنطوية على أفكاره وأسراره."[٣]

- **الإيحاء النسبي بمقصد المتكلمين**:

نجد الكاتب في بعض الأطر الدلالية قد وظّف الصمت بوصفه آلية من آليات الإيحاء بمقصد المتكلمين وبوصفه صمتًا ناطقًا معبرًا عمّا ينداح داخل النفس من مشاعر وأحاسيس متنوعة ،وظهر ذلك واضحًا في الأطر الدلالية التي جمعت هناء الذهبي وزهران الغانم في حفل نادي التجاريين بعد مرور خمس وعشرين عامًا على تخريج دفعتهما ،تقول:" نهض زهران من مكانه واتجه نحوي ، نهضتُ وتصافحنا وجلس ،خيَّم علينا صمت لفترة

١- الرواية ص ٨
٢- السابق ص ١٣
٣ السابق ص ٢٢

طويلة....."[١] على الرغم من أن لقاءهما هذا يعد اللقاء الأول منذ خمس وعشرين عامًا فإن الصمت قد خيّم على هذا اللقاء ،وأرخى سدوله؛ إذ عمد الكاتب إلى وصف فترة الصمت بالطويلة ؛ ليوحي بكثرة الكلام الكامن وراء هذا الصمت ،وكثرة اللوم والعتاب الذي يدور داخلهما ،و رغبة كل منهما في الإفضاء إلى الآخر بالكثير ،والكثير من الكلام والعتاب ؛فنجدها تعاتبه على عدم السؤال طوال هذه الفترة وهي تعلم إجابته عن سؤالها ؛فيجيبها بسؤال تقريري : ما الفائدة من السؤال وأنت زوجة وعندك ثلاث بنات؟"، ثم يعود إلى الصمت مرة أخرى ، فكلاهما مدرك موقف صاحبه وظروفه ،تقول:" شملنا صمتٌ ساعد على اضطراب صدري بالغيظ من كلامي وكلامه"[٢] ثم نجد الكاتب يقيّد الصمت بأنه لحظات سريعة ؛لأن اللوم والعتاب قد انتهيا ، يقول: "خيّمت علينا لحظات صمت رأيت خلالها عينيه ترددان النظر في الموائد القريبة والبعيدة وفي مائدتنا....توقفت نظراته عليّ فرأيت فيها رغبة في الإفضاء بحديث إضافي"[٣]

يُلاحظ من الأطر الدلالية السابقة ،التي تحوي صمتًا معبرًا وموحيًّا وناطقًا ، توظيف الكاتب وتكراره لبعض القرائن اللفظية المتمثلة في التراكيب الفعلية مثل "خيّم علينا صمت لفترة طويلة" ؛لأن اللوم والعتاب لم يتمّا بعد ؛ لذا وصف فترة الصمت بـ(طويلة)؛ ليوحي للقارىء بأن ثمة كلامًا كثيرًا يرغبان في قوله ،ثم يأتي تركيب(شملنا صمت) غير مقيّد بوقت معين وكأن الكاتب يود أن يخبر القارىء أن وقت اللوم والعتاب قد انتهى،

١-السابق ص١٣

٢- الرواية ص١٦

٣- السابق ص ٢٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي تركيب "خيّمت علينا لحظات صمت" الوارد في الإطار الدلالي الأخير تقيّد الصمت بكلمة (لحظات) ؛ ليؤكد انتهاء فترة العتاب واللوم الطويلة ،ورغبة "زهران الغانم" في الإفضاء بحديث إضافي. فاستعمال الكاتب للتراكيب (شملنا – خيّم) ؛ ليكثف المحتوى الدلالي لهذا الصمت غير المقصود ،فهو صمت في أعلى درجاته التعبيرية والإيحائية البليغة والقوية ، صمت ملؤه اللوم والعتاب صمت غير مقصود ،ولكنه بالنسبة إليهما ،كان المتنفس والمهرب من الغيظ الكامن في صدريهما؛ بسبب افتراقهما والحيلولة دون اقترانهما.

- **امتداد الشعور نهاية الأحداث**

ويستمر هذا الصمت غير المقصود حتى نهاية أحداث الرواية. معبرا كذلك عن الحزن والقهر:

فها هي هناء الذهبي في المشهد الأخير من الرواية تصرخ صراخًا مكتومًا ؛ حزنًا وقهرًا على زهران الغانم المكافح والمناضل من أجل وطنه الذي أمطره زوجها دهشان وتابعوه وابلا من الرصاص وهو على موعد معها؛ ليتسلم منها شريط تسجيل يدين دهشان ويتهمه بقتل زوجته ، تقول:" صرخت دون أن يخرج صوتي .....هرعتُ مغادرة السيارة وبيدي اليمنى المظروف ؛لأرى زهران قد سقط فوق الرصيف اقتربت منه وأنا أحمل بيدي دليل الإدانة.....شريط التسجيل....افترشت الأرض وأرحت رأسه فوق ساقي"[١]

١- السابق ص٨٤

جاء هذا الإطار الدلالي بوصفه امتدادا نصيًّا للعنوان ومعبرًا عن دلالاته أصدق تعبير وأروعه ؛فالكاتب كما عنون روايته واستهلها بما يوحي بالصراخ المكتوم ؛ تعبيرًا مناسبا لتلك الفترة الزمنية ؛ نجده يختتمها بتركيب فعلي يعد ترجمة صريحة للعنوان :" صرخت دون أن يخرج صوتي"؛ ليعكس لقارئه الحالة التي كان يعيشها البعض وقتذاك (فترة التسعينيات) وما فيها من قهر وظلم ،ويأس ،وعجز عن الكلام والبوح ،وإبداء الرأي ،فكان الصراخ المكتوم الصامت سمة سائدة في هذه الفترة من أولها إلى آخرها؛ فقد ظهرت واضحة علاقة الإجمال الدلالي للصمت الموجود في العنوان بتفاصيله وأنواعه وأسباب كل نوع والأطر الدلالية التي توضح ذلك في جسد النص ويؤكد الاستمرارية الدلالية في النص بأكمله بداية من العنوان حتى نهاية النص ؛ فالنص كله أصبح كتلة دلالية واحدة تجمعها علاقات نصية ذات ترابط مفهومي.

فالصمت بنوعيه – المقصود وغير المقصود- كان حاضرًا ومهيمنًا بأسبابه المختلفة على مدار النص الروائي كله بداية من عتبته (العنوان). وظلت المفردة "الصمت" بصورها اللفظية والدلالية ضميمة تدعم علاقات الترابط المفهومي المتنوعة بين العنوان والأطر الدلالية المختلفة على مدار النص بأكمله؛ فكان ذلك داعمًا لوحدة النص وتماسكه وترابطه وانسجامه.

وعلى الجانب الآخر نلاحظ اختفاء الصمت من مسرح الأحداث في بعض الأطر الدلالية التي علا فيها ضجيج المعارك السياسية كما ارتفعت أصوات الاستجوابات وتأزمت الأحداث بمحاولات الاغتيال، والتسجيلات الصوتية التي ترصد التحركات والمكالمات ،وذلك حينما تمكّن النائب البرلماني "زهران الغانم" من الكشف عن قضايا فساد وفاسدين أهدروا المال

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العام ،ووزراء ،ونواب تستروا على جرائم رجال أعمال ،وأخذ يستجوب كل فاسد حتى لو كان ذو سلطة ؛ فأصبح فزّاعة لأولئك الفاسدين . وهذا الضجيج والصخب وغياب الصمت جسدته علاقة التقابل الدلالي النصيّ للعنوان الآتي ذكرها.

رابعاً: علاقة التقابل الدلالي النصي:

تضمن العنوان – كما مرّ في مواضع كثيرة– صخبًا وضجيجًا بدويٍّ صامت وصراخًا مكتومًا ومضمرًا ،وموحيًّا بمشاعر رضا أحيانًا ،وسخط في أحايين أخرى ،وهذا يتقابل دلاليًّا وبعض الأطر النصيَّة التي حوت ضجيجًا وصخبًا بدويّ عالٍ ،تمثل في حوارات الشخصيات،أو في الحوار الاسترجاعي لصورة أشخاص ثائرين رافضين ومتمردين على أوضاع معينة ،وظهر هذا الصخب والضجيج جليًّا في مجال دلالي عام هو (المجال السياسي) تفرعت منه مجالات دلالية فرعية ومنها:

- **هزيمة الوطن في ٥ يونيو ١٩٦٧م**:

تسترجع هناء الذهبي صورة زهران الغانم – عقب تسلمها دعوة نادي التجاريين لحضور احتفال النادي بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على تخرج دفعة ١٩٦٧م – تقول: " رأيته ثائرًا بعد يوم من هزيمة٥ يونيو ١٩٦٧م ، وناقمًا على المسئولين عنها....،ولاحت برأسي صورته وهو يقبل على مجلسنا المعهود بالأورمان بعد سبعة أشهر من الهزيمة المروعة بالبدلة العسكرية ،ويقول: تمَّ التوزيع على جبهة قناة السويس...."[١]

١- الرواية ص

أراد الكاتب أن يخبر قارئه أن بطل الرواية (زهران الغانم) بطلته الصامتة، المنطوي على نفسه ، الصامت الخجول – كما وسمه على مدار الرواية– قد تتغير حاله إلى النقيض ويصبح ثائرًا وناقمًا ومتمردًا إذا مسَّ الوطن سوء وساخطًا على المسئولين عن أي إضرار بمقدراته ومصالحه ، وقد دعَّم دلالتي الصخب والضجيج في الإطار الدلالي السابق قرائن لفظية مثل (ثائرًا – ناقمًا – يقول).

- **محاربة الفساد والمفسدين**:

ها هو زهران الغانم يأخذ مكانًا مستقلا تحت قبة البرلمان ؛ ينادي من خلاله بتحقيق العدالة ويناوىء خصومه ،ويكشف عن إضرارهم بمقدرات الوطن ، وبعد مرور عام كان متسلحًا بمعرفة وخبرة كافيتين ومناسبتين استطاع بهما أن يتكلم ويحرج مسئولين (نوابًا ووزراء) ،يقول:" كم صرختُ تحت قبة المجلس بأنني سأستجوب أيّ مسئول في البلد مهما علا قدره ، وارتفعت مكانته ،وسمت منزلته ، ففتحت بكلامي عن الفساد أبواب جهنم....."[١]

استطاع الكاتب في هذا الإطار الدلالي أن يصل بالمعدل الدلالي إلى أعلى مستوياته من الكثافة الصوتية المرتفعة المدوية . فزهران الغانم لم يعد صامتا منطويًّا ؛ فقد تحوَّل صمته وانطواؤه إلى صراخات واستجوابات تحت قبة المجلس؛ لمحاربة أولئك المفسدين الذين يتلاعبون بمصالح الوطن ويضرون مقدراته؛ تحقيقًا لمآربهم الشخصية ؛ فغدا يرصد تحركاتهم ويتابع أفعالهم المشينة ويستجوبهم ويفتح عليهم أبواب جهنم مستندًا إلى ما

١- السابق ص ٦٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بحوزته من أدلة وبراهين تدينهم ، ويدعم هذا الضجيج والنغمات الصوتية المرتفعة الثائرة قرائن لفظية منها (صرختُ – سأستجوب – كلامي عن الفساد) فالصراخ لم يعد مضمرا مكتوما ،بل صار صراخًا مرتفعًا مسموعًا ؛ فعلاقة التقابل الدلالي تبرز القضية الرئيسة في النص الروائي وتوضحها ، وهذا من شأنه أن يحدث حبكة دلالية ووحدة لغوية للنص كله.

ويستمر زهران الغانم في نضاله وسعيه للكشف عن الفساد والمفسدين ومحاربتهم بالقانون ، فها هو يجلس مطرقًا مسترجعًا حوارًا له مع هناء الذهبي عقب مقتل زوجته إثر حادثٍ مدبر كان يستهدفه ،وفي هذا الحوار حذرته هناء الذهبي من زوجها دهشان الكردي الذي يدبر لقتله والتخلص منه ؛ فردَّ قائلا:" بعد عودتي من ندوة الإسكندرية سأتقدم بثلاثة استجوابات يوم الأحد القادم ورأيتني أصف لها كل استجواب على حده .الأول: خاص بتسقيع أراضي الدولة، والثاني: يتعلق بتسهيلات هائلة من بعض البنوك لعدد من رجال الأعمال ،والثالث: يتصل ببيع مؤسسات القطاع العام بالأمر المباشر بأبخس الأسعار .....ولن أتراجع عن الإيقاع بهم وتقديمهم إلى العدالة....."[١]

تحذير هناء الذهبي زاده مقتًا وكراهية وسخطًا على هؤلاء المفسدين؛ فأفرغ ما يحويه جرابه من أدلة تفصيليّة ومستندات مؤيدة تدينهم؛ فالأمر لم يعد صراخًا أو ضجيجًا تحت قبة البرلمان فحسب ، بل استند مع ذلك إلى دلائل وبراهين مفصَّلة تحوي جرائمهم وتلاعبهم المقصود بمقدرات الوطن ، وارتفع الكاتب بدلالة الصخب والضجيج إلى أعلى مستوى له وهو الإصرار والتصميم على استجواب هؤلاء والإيقاع بهم وتقديمهم إلى العدالة.

١- الرواية ص:٨١

- **العلاقات مع إسرائيل واتفاقية كامب ديفيد**:

حوار استرجعه زهران الغانم دار في ندوة سياسية شارك فيها أساتذة سياسة واقتصاد مرموقون ،وفيها خيّمت نغمة تشاؤم على الشأن المصري الاقتصادي مقارنة بالشأن الاقتصادي العالمي، وفيها أوضح المتخصصون أن الإصلاح الاقتصادي الجاد رهن بمن يحب الوطن ويعمل لصالحه، يقول الكاتب:" وارتفع صوت تناول علاقات تجارية لعدد من رجال الأعمال مع إسرائيل رغم عدم التطبيع ...وتطور الحوار إلى أن البلد مليئة بجواسيس الموساد الذين يصفّون جسديًّا بين الحين والآخر صفوة رجال العلم والسياسة والاقتصاد....وتطور الحوار أكثر إلى "اتفاقية كامب ديفيد"...لابد من النظر فيها لتعديلها أو إلغائها .وجهر آخر بقوله:" اتفاقية كامب ديفيد لابد من إلغائها...إسرائيل تحاربنا في الخفاء وبدبلوماسية هنا وفي إفريقيا حيث منابع النيل، كيف يمكن السكوت على تحركات الدولة العبرية"[١]

في هذا الإطار الدلالي الذي حوى حوارًا استرجاعيًّا يضج بنغمة صوتية مرتفعة وحادة ؛لأن الأمر جلل يتعلق بمن يتعاونون مع العدو الصهيوني ؛ تحقيقًا لمآرب شخصية على حساب الوطن ، وتدعمت هذه النغمة المرتفعة الحادة بقرائن لفظية تركيبية :(ارتفع صوت) ،(جهر آخر) فضلا عن الاستفهام التقريري الاستنكاري :" كيف يمكن السكوت على تحركات الدولة العبرية؟!" وزاد هذه النغمة الصوتية حدة ،وارتفاعًا عبارة الإلزام والوجوب (لابد).

١- السابق ص ٦٩-٧٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة:

بالنظر إلى ما سبق وفي ضوء العرض السابق تبين ما يأتي:

١. أن سيمياء العنوان وصداه الدلالي على امتداد النص الأدبي من الموضوعات الجديرة بالدراسة اللغوية؛ لما تظهره من مقدرة على إبراز الحبكة النصية والاستمرارية الدلالية داخل العمل الأدبي.

٢. العنوان – بنية ودلالة- شكّل إطارًا دلاليًّا معبرًا أصدق تعبير وأوجزه عن المحتوى القضوي للنص الأدبي وعن مجريات أحداثه وسمات شخصياته.

٣. تكرار الصدى الدلالي للعنوان داخل النصّ الأدبي ارتبط بأداء وظيفته التداولية، التي أراد الكاتب إيصالها إلى المتلقي وهي:

- تقديم نموذج إيجابي للشخصية المصرية- تمثل في شخصية زهران الغانم- المخلصة الحريصة على مصلحة الوطن الرافضة لخيانته، على الرغم من كثرة التهديدات والقمع والإجبار على الصمت الذي تعرضت له هذه الشخصية على مدار أحداث الرواية.
- تقديم نموذج إيجابي آخر للزوجة الصابرة،والابنة المطيعة – يتمثل في شخصية هناء الذهبي- التي تبذل ما في وسعها للحفاظ على الكيان الأسري وبقائه شامخًا مرفوعا لا ينحني،ولا يمسه أذى، على الرغم مما تعرضت له من ضغوط نفسية وإرغام على الصمت وقهر وحرمان.وهذا التكرار كثَّف الدلالة؛ فتأكد المحتوى القضوي الذي يرغب المرسل في إيصاله إلى المتلقي.

٤. علاقة التقارب الدلالي بين العنوان والمتن تجلت واضحة في (المونولوج) الداخلي الذي ظهر في كثير من الأطر النصية التي حوت المجالات الدلالية الآتية:

- المجال الدلالي الخاص باسترجاع المواقف،واستحضار غائبين.
- المجال الدلالي الخاص بحوار الشخصيات مع ذاتها.

وقد ظهر المجالان؛ نتيجة مشاعر وأحاسيس متنوعة لشخصيات الرواية، منها: الشعور بالتخاذل والصبر على الواقع المرير، والشعور بالأسى والحسرة ؛فضلا عن المشاعر النفسية الإيجابية التي جاءت مصاحبة لعبارة (قلت في نفسي).

٥.علاقة الارتباط السببي بين العنوان والمتن أظهرت الأسباب الاجتماعية والنفسية للصمت المخيم على دلالة عنوان الرواية.

٦.علاقة الإجمال بالتفصيل بين العنوان والمتن أظهرت أن الصمت جاء – في هذا النص الروائي– على نوعين، صمت مقصود وآخر غير مقصود وكلاهما كان حاضرًا بقوة، ومهيمنًا بأسبابه المختلفة على مدار النص الروائي كله بداية من عنوانه، وظلت المفردة (الصمت) بصورها اللفظية والدلالية ضميمة تدعم علاقات الترابط المفهومي المتنوعة بين العنوان والأطر الدلالية المختلفة على مدار النصّ بأكمله؛ فكان ذلك خير داعم لوحدة النص، وتماسكه وانسجامه.

٧.علاقة التقابل الدلالي بين العنوان والمتن ظهرت واضحة في الحوارات التي دارت بين الشخصيات،وكذا في الحوارات الاسترجاعية لصور أشخاص ثائرين ومتمردين، وتجلت هذه الحوارات في المجال الدلالي العام(المجال السياسي) الذي انبثقت منه مجالات دلالية فرعية، منها:

- هزيمة الوطن في الخامس من يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين.
- محاربة الفساد والمفسدين.
- العلاقات مع إسرائيل ،واتفاقية كامب ديفيد.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجاء ذلك كله مدعوما بقرائن لفظية تعضده وتؤكده ،مثل: صرختُ – سأستجوب – كلامي عن الفساد –ارتفع صوت– كيف يمكن السكوت علـــى تحرك الدولة العبرية....وغير ذلك.

التوصيات:

أوصي الباحثين بالعناية بالسيميائيّة من الجانب اللغــوي التطبيقـــي ، وربطه بالتداولية وعلم لغة النص ،وكذا العناية بالنص الروائي ولا سيما في مجالي علم اللغة الاجتماعي ،وعلم اللغة النفسي على حدٍ سواء.

و الله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

- **أحمد مختار عمر**(دكتور)
- علم الدلالة –عالم الكتب –القاهرة–ط٧ –٢٠٠٩م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة –عالم الكتب –القاهرة–ط١ –٢٠٠٨م.
- **بسام قطوس:**

سيمياء العنوان – مطبعة البهجة – عمان – الأردن ٢٠٠٢

- بلقاسم دفة :

علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي ضمن كتاب السيمياء والنص الأدبي– منشورات الجامعة ٢٠٠٠م.

- **جان كوهين :**

بنية اللغة الشعرية – ترجمة: محمد الولي– محمد العمري، الدار البيضاء– دار توبقال ١٩٨٦م.

- **حسن البنداري: (دكتور)**
- صخب الهمس – ط١ –بورصة الكتب ٢٠١١م
  - العائد بالحب – ط٣ –بورصة الكتب ٢٠١٥
  - فوق الأحزان ط٣ – بورصة الكتب٢٠١٥م
- تحت الأحزان ط٢– الأنجلو المصرية ٢٠١٧م–
- هدير الصمت ط١ – الأنجلو ٢٠١٩م

- **خالد حسين حسين: (دكتور)**

في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)–دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر –دمشق–٢٠٠٧م.

- **سعيد بحيري :(دكتور)**

علم لغة النص–المفاهيم والاتجاهات – ط١ – لونجمان – القاهرة ١٩٩٧م

- **صبحي الطعان :(دكتور)**

– بنية النص الكبرى – عالم الفكر–يوليو–١٩٩٤م

- **عبد القادر رحيم :(دكتور)**

– علم العنونة – دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر–دمشق–ط١ – ٢٠١٠م.

- **فيصل الأحمر :(دكتور)**

معجم السيميائيات – ط١ – منشورات الاختلاف – الجزائر ٢٠١٠م

- **قيس عمر محمد:**(دكتور)

البنية الحوارية في النص المسرحي ناهض الرمضاني أنموذجا– دار غيداء للنشر والتوزيع –عمان –الأردن– ط١ –٢٠١٢م.

- **محمد فكري الجزار:(دكتور)**

العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي– الهيئة المصرية العامة للكتاب – د.ط – القاهرة ١٩٩٨م .

- **ابن منظور:** أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)

لسان العرب –دار صادر–بيروت، د.ت.

- **نبيل راغب:**(دكتور)

– موسوعة الإبداع الأدبي – مكتبة ناشرون – ط١ – ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٣٦٩٣
٢.	Abstract	٣٦٩٤
٣.	مقدمة:	٣٦٩٥
٤.	مدخل:	٣٦٩٨
٥.	رواية (هدير الصمت):	٣٧٠١
٦.	المبحث الأول: عتبة النص (هدير الصمت) و مستويات البنية و الدلالة: عرض و تحليل	٣٧١٠
٧.	على المستوى المعجميّ:	٣٧١١
٨.	على المستوى الصوتيّ:	٣٧١٣
٩.	على المستوى الصرفيّ:	٣٧١٤
١٠.	على المستوى التركيبيّ:	٣٧١٥
١١.	على المستوى الدلاليّ:	٣٧١٦
١٢.	المبحث الثاني: العلاقات النصية بين العنوان و البنية النصية: قراءة في المفهوم و الدلالة	٣٧١٧
١٣.	أولا: علاقة التقارب الدلالي النصي للعنوان:	٣٧١٧
١٤.	ثانياً علاقة الارتباط السببي:	٣٧٢٥
١٥.	ثالثاً: علاقة الإجمال بالتفصيل:	٣٧٣٠
١٦.	رابعاً: علاقة التقابل الدلالي النصي:	٣٧٣٨
١٧.	الخاتمة:	٣٧٤٢
١٨.	المصادر والمراجع	٣٧٤٥
١٩.	فهرس الموضوعات	٣٧٤٧